ملفات تركية

4

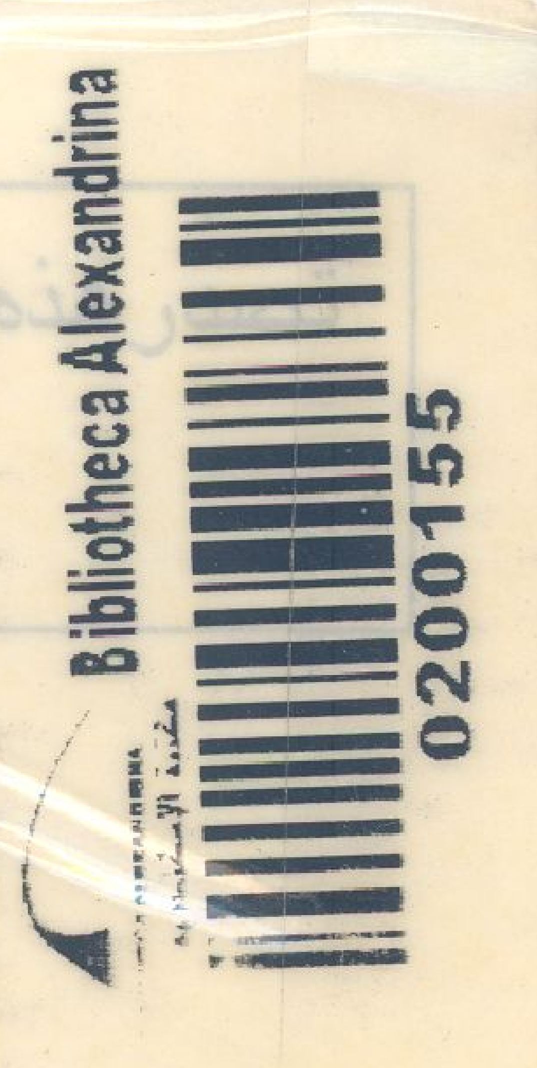
أوج آلان

تركيا والأكراد

يوسف ابراهيم الجهماني

تصدر هذه الملفات عن قسم الأرشيف والدراسات والتوثيق في دار حوران.





أوج آلان

تركيا والأكراد

- سلسلة ملفات تركية
- (4) أوج آلان / تركيا والأكراد
- يوسف ابراهيم الجهماني
- الطبعة الأولى: 1999.

- الناشر: دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق . هاتف: 6713079.

ص.ب : 32105.

أوج آلان

تركيا والأكراد

يوسف ابراهيم الجهماني

مُقدّمة

لعلنا لا نكون مجافين للحقيقة، إذا قلنا أن اعتقال عبد الله أوج آلان، زعيم حزب العمال الكردستاني في تركيا، يُعتبر من الأحداث العالمية الهامة التي يتوج بها قرننا الحالي رحيله. بالإضافة إلى كون هذا الحدث، مع أحداث كثيرة (تفتيت أوروبا الشرقية، حرب الخليج الثانية، انهيار النمور الأسيوية السبع، تدمير البنى العراقية البشرية والتحتية والمحاصرة الاقتصادية الطويلة للعراق، انهيار أسعار النفط دون مستوى تكلفة الاستخراج، حصار ليبيا، الحصار الاقتصادي المفروض على إيران، الصراع العِرقي في يوغسلافيا وتدميرها من قبل الناتو، الصراع العرقي وتصفياته في إفريقيا، إزالة نظام الأبارتيد في جنوب إفريقيا، تمرد أرتيريا الصغيرة على جيرانها.. إلخ) جاء ليرسم معالم انهيار الاتحاد السوفيتي وسواد نظام ما يُسمى بالقطب الواحد، أو النظام العالمي الجديد، الذي تقف على قمته الولايات المتحدة الأمريكية، دولة الكاوبوي، التي تمارس سياسات ازدواجية في كل شيء، إن كان فيما يتعلق بحقوق الإنسان أو بالديمقراطية، فهي تحبذهما

لشعوبها وتبخل بهما على الآخرين؛ وإن كان فيما يتعلق بحق تقرير المصير للشعوب، فهي في العراق مع حق إقامة دولة لأكراد العراق، في الوقت الذي فيه تحارب نيل الأكراد في تركيا لحكم ذاتي.

ومن أهم المعالم الأخيرة لهذا النظام العالمي الجديد، هو ملاحقة أمريكا لما تُطلقُ عليه "الإرهاب" في الشرق الأوسط. فمن قضية لوكربي، إلى اصطياد المناضل العالمي كارلوس، إلى ملاحقة بن لادن، وصولاً إلى اعتقال عبد الله أوج آلان، زعيم حزب العمال الكردستاني، بمساعدة أجهزة الاستخبارات التركية والإسرائيلية.

أُعتقل أوج آلان، فشكر معتقليه، وأرفق الشكر بابتسامةٍ هازئة، نابت عنه في التعبير عن خيبة الذين يُحاولون تغيير وجه التاريخ فيصرعهم صفاءهم وإيمانهم وطوباويتهم، وتلتقطهم أخيراً كلاب حراسة النظام العالمي الجديد. في حين لم يتسنَ لتشي غيفارا أن يشكر قاتليه الذين غدروا به نتيجة مؤامرة دولية نسجتها الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، إلا أنه لم يفته أن يبتسم لهم، بعد أن أصبح جثةً هامدة.

باعتقال الزعيم الكردي أوج آلان تنطوي صفحة جديدة أخرى من صفحات "الخوارج" الذين لم تُسعفهم عدالة قضاياهم والحقوق التاريخية التي تسيجها، فتساقطوا جميعاً في فخ طغيان، طالما حلموا بدك صروحه. فكما يقول الكاتب سركيس أبو زيد: «ومن الحقائق أن

تحالفاً دولياً نشأ وصار حقيقة، يهدف إلى مطاردة ومحاصرة كل الخارجين عن إرادة الولايات المتحدة وحلفائها، من قضية اختطاف أوج آلان... إلى محاولة اعتقال الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، جورج حبش، أثناء علاجه في باريس، إضافةً إلى دول مسلط عليها سيف الحصار، وحركات وطنية في العالم تتم مطاردة زعمائها في كل أنحاء المعمورة، كلها تدل على أن "العولمة" تسير في الاتجاه الخاطئ، الذي يؤذي شعوب الأرض.. وهذا الرجل أوج آلان الذي يكاد أن يتحول إلى أسطورة، بين أبناء شعبه، رفضته كل القارات والدول الكبرى فيها، مثل روسيا وألمانيا وإيطاليا، وطاردته تركيا حتى سُدّت السبل في وجهه، ووقع في فخ الحكم العسكري في أنقرة نتيجة لهذا التواطؤ الدولي».

في العالم الأمريكي العالمي الجديد مَن ذا الذي لم تستطع وسائط الدبلوماسية "الناعمة"، أن تعيده إلى رشده وتجعله راكعاً على ركبتيه وراضخاً لشروط السيد "الأمريكي"، لا بأس بأن نقوم بإهدائه صاروخ "كروز"، نقتل بواسطته أطفاله ونسائه، ونخرب به بنية بلاده التحتية التي بعناها له، لنعيد بناءها من جديد، ونأخذ ثمناً هذا البناء من دم أبنائه وعرقهم.

يقول الكاتب موسى برهومة: «لم يكن عبد الله أوج آلان يطلب المستحيل وهو يطالب بحكم ذاتي للأكراد، معبراً عن تطلعات غائرة في

القدم لشعب أراد أن يتخلص من لعنة الأقدار التي شتتته في أربع جهات الأرض.. يُعتقل أوج آلان، بينما يبدو أن بينوشييه سيغدو طليقاً، محصناً بنياشينه ودماء ضحاياه، التي تُلطخ بزته العسكرية.. تدخل البشرية الألف الثالثة، مدججة باحتقانات ما يقرب من نصف سكان الكوكب، قذفتهم الشرعية الدولية في متاهات التهميش والنسيان، ولم تكتف باغتصاب حقوقهم، بل أفرغت أوطانهم من الموارد والسيادة والساكنين، وجعلتهم غرباء في عالم مطعون بنزاهته وجدارة العيش الكريم فيه».

منذ ميلاد حزب العمال الكردستاني بزعامة عبد الله أوج آلان في تركيا، انتقل النضال الكردي في تركيا إلى مستوى عصري متقدم، حيث أخذ الصراع بين الحكومة التركية والأكراد، كشعب يناضل من أجل حقوقه المشروعة، أخذ، مع مرور الزمن، يعني صراعاً بين هذا الشعب، ممثلاً بالحزب وزعيمه من جهة، والسلطات التركية من جهةٍ أخرى، التي كانت ولا زالت تتنكر لوجود هذا الشعب على أراضيها، مع العلم أن تعداده يبلغ قرابة الـ12 مليون نسمة، أي ما يُقارب 20٪ من مجموع الشعوب القاطنة في تركيا. ويبدو أن عبد الله أوج آلان أصبح ملهماً لنزوع تحرري جياش، ظلّ مخبأً في النفوس عند حشودٍ كثيرة من الأكراد. فبعد عقود طويلة من الإحباط عند الأكراد من جراء الفشل المتكرر في إحراز أي انشراح في حياتهم القومية، فإن دعوة أوج آلان إلى

التمرد على الواقع القائم والسعي إلى تغييره بالعنف، أخذت تلقى آذاناً صاغية. وزاد من قوة هذه الدعوة انكفاء معظم القيادات الكردية الأخرى عن الكفاح القومي الشامل والتحول إلى جماعات محلية، تهتم بالمحافظة على مواقعها وامتيازاتها. كما أتى ظهور أوج آلان في وقت كان الجو فيه مناسباً للنفخ من جديد في نار النقمة التي كانت تحيط بالفرد الكردي من مختلف جهاته. نقمة على الحرمان من كل شيء، من الهوية القومية واللغة الأم والتاريخ الوطني والمكانة الاجتماعية والاستقرار الأمني والهناء الاقتصادي والانعتاق السياسي. وفوق هذا ينتصب الحرمان من الشعور بامتلاك الكرامة، التي يتم هدرها في كل لحظة عن طريق العسف والإهانة من الآخرين المالكين زمام القدر التركي.

أجل، اعتقلت تركيا عبد الله أوج آلان، لكن قد يكون وجوده في السجن أكثر تعقيداً، من وجوده في أي مكان آخر من العالم. أجل، ستنبش أنقرة في ملفه "الإرهابي"، الأمر الذي سيؤدي إلى نبش ملف إرهاب الدولة التركية، الذي مارسته ضد من يُفترض أنهم مواطنوها. والشواهد هنا كثيرة، كما الوثائق ، التي تفيد بأن إرهاب الدولة قضى على أفراد من البشر، لا تُقاس بالأعداد التي قضت بعمليات حزب العمال الكردستاني، والتي تفيد أيضاً بأن قرى وبلدات ألغيت من الوجود على الطريقة الإسرائيلية، وأن مجازر ارتُكبت تفوق في بشاعتها تلك التي ارتُكبت على أيدي أبشع طغاة التاريخ.

ويجدر هنا أن نأخذ بعين الاعتبار المناقبية النضالية العالية المستوى للشعب الكردي وقدراته الكبيرة على التضحية من أجل قضيته العادلة، من حرق النفس احتجاجاً، إلى صوم الموت، وصولاً إلى العمليات الانتحارية من مختلف الأنواع، التي أخذ يباشر بممارستها الأكراد في تركيا. ونحن حينما نعلم أن الشعب الكردي في تركيا موزع في شتى أنحاء تركيا، لاسيما في مدنها الكبرى، فاسطانبول مثلاً تُعتبر مجازاً العاصمة الكردية الأولى في العالم، نصل إلى نتيجة مفادها أن أساليب النضال الجديدة التي باشر الأكراد استخدامها، سوف تنقل تركيا إلى عتبةٍ جديدة من اللا استقرار والفوضى، الأمر الذي سيجلب معه موجات لا حصر لها من الضحايا من الطرفين، وهذا لن يصب في المصالح الوطنية التركية، سيما أنها لا تزال تعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي في الداخل، على الرغم من فوز بولانت أجاويد وحزبه ـ حزب اليسار الديمقراطي في الانتخابات الأخيرة، أجاويد الذي في عهده أعتقل أوج آلان، بالإضافة إلى احتلال حزب الحركة القومية المرتبة الثانية، ذلك الحزب القومي الشوفيني، الذي له تاريخ طويل في محاربة الأكراد وتصفية زعاماتهم. ومع ذلك وعلى الرغم من هذه المقدمات السوداوية، فنحن نتساءل هنا قائلين: هل ستحتكم السلطات التركية إلى العقل وترجح استتباب الأمن على الفوضى، والحياة على الموت لكلا الشعبين التركي والكردي، والتعمير على التدمير،

والحب على البغضاء، والتسامح على الحقد، والاعتراف بالحقيقة على تجاهلها، وتذهب بعيداً في استغلال مناسبة اعتقالها لعبد الله أوج آلان، لتحاكمه* مع ماضيها محاكمة عادلة وتعيد الحقوق إلى أصحابها، وتنهض في منطقة الأناضول نهضة اقتصادية، ترفع من المستوى الحياتي لقاطنيها، الذين غالبيتهم من الأكراد.

وعلى المستوى الدولي، أضحت القضية الكردية على جدول أعمال مختلف محافلها. فالبرلمان الأوروبي الموحد مثلاً، عقد جلسات عديدة بهذا الخصوص، أعلن في ختامها في 25 شباط/فبراير 1999، أنه على تركيا، إذا أرادت قبول ترشيحها لعضوية الاتحاد الأوروبي، عليها أن تزيل الصبغة العسكرية عن محاكمة أوج آلان، وأن تسمح بوجود مراقبة دولية لهذه المحاكمة، بحيث تكون متوافقة مع القوانين الدولية، وان تسمح للصليب الأحمر الدولي بمراقبة صحة أوج آلان، وأن تسمح للأخير باختيار محاميه للدفاع عنه... وأشار قرار البرلمان

---

* تجدر الإشارة إلى أنه بعد تشكيل الحكومة الائتلافية بين الأحزاب الثلاثة (حزب اليسار الديمقراطي بزعامة بولند أجاويد، وحزب الحركة القومية بزعامو دولت باغجي، وحزب الوطن الأم بزعامة مسعود يلماز)، تمت محاكمة أوج آلان من قبل محكمة أمن الدولة في "جزيرة إيمرلي"، وأصدرت الأخيرة حكماً بالإعدام بحقه. هذا وقد تسربت أنباء مفادها أن حزب الحركة القومية المتطرف لم يرض بقبول المشاركة في الحكومة الإئتلافية، إلا بعد أن تعهد رئيس الوزراء المكلف، بولند أجاويد، بالعمل على معاقبة أوج آلان بالإعدام، وتعهد رئيس الجمهورية، سليمان ديميريل، بالتصديق على هذا الحكم، قبل انتهاء ولايته، التي بقي على نهايتها قرابة العام.

الأوروبي الموحد إلى أن القضية الكردية هي قضية دولية، لها تأثير على الدول الأوروبية، ولذا فلا بد من إيجاد حل سلمي عادل لها، وأن تركيا ستدفع ثمناً باهظاً إذا استمرت في سياساتها القمعية تجاه الأكراد وتجاه محاكمة أوج آلان.

في هذا الملف، نُحاول أن نميط اللثام عن القضية الكردية، التي أصبحت من أهم معالم القرن العشرين، وذلك من خلال أكراد تركيا بشكل خاص. فبدايةً سنتطرق لتاريخ الأكراد في المنطقة، وخصائص تواجدهم فيها، العرقية واللغوية والمكانية والاجتماعية. ومن ثم ننتقل بشكل خاص إلى أكراد تركيا، لا سيما في المناطق الجنوبية الشرقية منها، حتى أفول السلطنة العثمانية، ومن ثم سنعرج على دراسة أوضاع الأكراد في تركيا المعاصرة. وبعدها سننتقل إلى بحثٍ، يدور حول زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوج آلان، عن فكره وممارساته السياسية. ومن ثم سنمر في تاريخية نضال حزب العمال الكردستاني في تركيا ومراحل صراعه مع السلطات التركية. وسنتكلم أخيراً عن الأزمة الأخيرة التي نشبت عن اعتقال عبد الله أوج آلان، وأبعادها الداخلية التركية والمحلية والدولية.

الفصل الأول

الأصول التاريخية للأكراد

الأكراد هم أحد أقدم شعوب الشرقين الأوسط والأدنى، فقد ترك الأتراك ويتركون أثراً ملحوظاً في تاريخ المنطقة، وشاركوا ويشاركون تقريباً في أهم أحداث الماضي والحاضر، وساهم الأكراد ويساهمون بثقافتهم الأصيلة مساهمة كبيرة في التطور الروحي لشعوب تركيا وإيران والبلدان العربية. وحسب الإحصائيات الأكثر منطقية، يعيش حالياً أكثر من عشرين مليون كردي في الشرق الأوسط، منهم أكثر من عشرة ملايين في تركيا، وستة ملايين في إيران وثلاثة ملايين في العراق ومليون في سوريا.

لم يُدرَس تاريخ الأكراد دراسةً كافية ولم يُحقق فيه تحقيقاً وافياً. أما الدراسات الموجودة فهي دراسات غير نظامية غالباً، ويعود ذلك إلى الظروف السياسية والاجتماعية .الاقتصادية السائدة في المنطقة بصورة عامة، ظروفاً فرضت ضغطاً على الأكراد، الذين حاولوا و يحاولون دراسة تاريخ الأكراد وكردستان أو دراسة أية ناحية من نواحي الحياة المتعلقة بهما.

يطلق اسم كردستان، أي بلاد الأكراد، على مناطق واسعة وحيوية في قلب الشرق الأوسط، فهي تضم أجزاء هامة من تركيا

وإيران والعراق وتمتد فتلامس حدود الاتحاد السوفييتي السابق في أذربيجان، وهنالك بالطبع اختلافات وآراء متضاربة بصدد الحدود الجغرافية لموطن الأكراد. كما توجد آراء بصدد أصولهم العرقية، فهناك من يقول أنهم من الأقوام الهندو. أوروبية التي استوطنت المناطق التي يعيشون فيها منذ آلاف السنين. والثابت دون أدنى ريب أنهم ليسوا أتراكاً ولا فرساً ولا عرباً، فهم قومية متميزة في اللغة والأصل والثقافة والحدود الجغرافية لمناطق إقامتهم التاريخية.

فالكرد هم السكان الأصليون لمنطقة كردستان الحالية الذين عاشوا قبل الميلاد بآلاف السنين وقبل أن يطلق عليهم تسمية (الكورد)، فقد كانت لهم تسميات أخرى مثل الحثيين، والميتانيين، والميديين، ولا شك أن الهجرات الأوروبية وتحديداً الأقوام الهندو. أوروبية إلى المنطقة قد بدأت قبل أربعة آلاف سنة، واستقرت في المنطقة وهي التي تحدد الآن ملامح الشخصية الكردية القومية، خاصة من ناحية اللغة الكردية التي تعتبر فرعاً من فروع اللغة الهندو. أوروبية، ويشار هنا إلى أن علماء الآثار واللغة يؤكدون أن الحثيين الذين أسسوا إمبراطورية واسعة في الألف الثاني قبل الميلاد وامتد نفوذها إلى شمال بلاد الشام وشملت الأناضول، كانت تكتب بالهيروغليفية الحثية التي اعتبرت لغة هندو. أوروبية. على أية حال فإن الأكراد يتكلمون في كل مناطق وجودهم الكردية ولكن بلهجات متعددة، كما قد يتكلمون

الفارسية والتركية والعربية بحكم تقسيم موطنهم بين الدول الثلاث، واللغة الكردية على صلة وثيقة مع الفارسية القديمة وفيها أكثر من العربية والتركية، إلا أن الأكراد وعبر قرون أوجدوا لغتهم الخاصة المتمايزة عن الفارسية والتركية والعربية. أما وجود لهجات متعددة فهذا يحيلنا إلى وجود لهجات في كل اللغات الحية، بما في ذلك العربية، لأن اللهجات لا تنفي وجود أصل اللغة المشترك الواحد، بغض النظر عن مدى تأثر هذا الأصل بلغات أقوام أخرى.

توجد خرائط كثيرة لكردستان الطبيعية بعضها يتضمن مبالغات كثيرة، وبعضها يقلص موطن الأكراد إلى الحدود القصوى، وربما توجد الحقيقة بين هذين الحدين. فكردستان منطقة جبلية كائنة جنوب جبال الأناضول وأرمينيا وإلى الغرب من الطرف الشمالي من إيران، وتشكل منطقة متدرجة حين تخترق الحدود العراقية الحالية إلى شرق دجلة، حيث يصبح هذا النهر خط الحدود العراقية ـ السورية.

يذكر التاريخ الأكراد للمرة الأولى في قصة تعود إلى العام 400 قبل المسيح، حين أبادوا رجال زينوفون القائد اليوناني العامل لدى الفرس أثناء تراجعهم الشهير إلى شواطئ البحر الأسود.

في مطلع العهد العربي وما بعد ذلك تكررت الإشارات إلى ثورات الأكراد وغاراتهم. لكن في زمن الحملات الصليبية، كان الأكراد قد

اكتسبوا شهرة لإقدامهم وجرأتهم في الشؤون العسكرية، وهم لم يكتفوا في هذا المجال بمضايقة الأطراف التي تدخلت في شؤونهم فقط، وإنما أنشأوا تقليداً وتراثاً من الخدمة العسكرية لحساب الأنظمة الحاكمة. خير من يجسد هذا التقليد هو القائد صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل، المعتبر من أشهر قادة المسلمين وأبرعهم في الحرب والسياسية.

نظراً إلى أن الأكراد يتكلمون بلغة مختلفة في أصولها واشتقاقاتها عن لغات الشعوب التي تجاورهم، أو يتشاركون معها مواطنها، فمن الطبيعي أن يسود اعتقاد بأنهم ينحدرون من أصول اثنية مختلفة. لكن الواقع أكثر تعقيداً من ذلك. ربما كان الأكراد الذين شنوا الهجوم على رجال زينوفون الـ 10 آلاف كانوا أفراد الشعب الميدي، وهم قوم مميز من سكان الجبال، ترجع أصولهم إلى العرق الهندي ـ الأوروبي.

وفي أواسط القرن السابع الميلادي أطلقت تسمية "كردي" الاثنية على خليط من الشعوب والقبائل الإيرانية، أو التي تحولت إلى إيرانية ـ فارسية. وبعض هذه القبائل كان كردياً أصلاً، لغة وموطناً. ينحدر الأكراد بغالبيتهم من قبائل بدوية أو شبه بدوية، وذلك باستثناء الساكنين منهم في السهول والسفوح. أما النزعة القبلية فغالباً ما تمثلت بروابط القربى والأرض والحدود. على أن الإحساس بالانتماء القبلي في الداخل الجبلي في كردستان (سكن الأكراد) ظل الأقوى

والانقى على الدوام وحتى يومنا هذا. كما أن المواطن الوعرة المسالك كانت تعطي الأكراد إحساساً بالأمن والحرية للأفراد والجماعات على حد سواء. وعادة يلجأ الناس إلى سكن المناطق الجبلية والوعرة عند عدم ثقتهم بالحكومات المركزية وأجهزتها. لذا كان، على الدوام، يعترف الحكام المتعاقبون على المناطق السهلية المحيطة بجبال كردستان بشبه حكم ذاتي لزعماء القبائل الكردية في مقابل أدائهم ضرائب معينة، وتأمين الجنود المقاتلين أحياناً بقيادة أحد أفراد عائلة شيخ القبيلة. وهذا هو الدندن الذي حكم العلاقة بين الطرفين لآماد طويلة. فالحكام كانوا يحتاجون إلى مقاتلين أشداء كالذين يتوفرون بين أبناء الجبال، في حين تسعد القبائل بتصدير الفائض من مواردها البشرية.

ارتدت هذه الخدمة طابعاً رسمياً متزايداً في فترة الحكم السلجوقي، الذي خضعت لنفوذه الخلافة العباسية والبلاد التابعة لها في بداية القرن الحادي عشر. تلخصت إحدى نتائج هذا الوضع في دخول مشايخ الأكراد إلى بنية الدولة الحاكمة وتحولهم إلى جزء أساسي منها. وسط الاضطرابات التي عصفت بالأناضول بفعل الغزوات المغولية والتتارية في القرنين الثاني والثالث عشر بدأت القبائل الكردية توسيع سيطرتها الجغرافية باتجاه الشمال بعيداً وراء سلسلة جبال زغروس، وشرقاً باتجاه نجود هضبة الأناضول. بفعل

الصراع بين الامبراطوريتين العثمانيّة التركية والصفوية الفارسية المتعاظمتين، استطاعت القبائل الكردية أن توسع سلطانها ونفوذها وتعزز موقفها أكثر فأكثر.

تذكر "الشرفنامة"، وهي كتاب رئيسي حول حياة وتاريخ الشعب الكردي وكردستان حتى نهاية القرن السادس عشر، التي كُتبت عام 1596 من قبل شرف الدين البتليسي، وهو كردي، بأن المنطقة التي كان يقطنها الأكراد كانت تُحكَم من قبل عدد من الإمارات الكردية. ففي القرن السادس عشر كانت هنالك 20 إمارة قائمة في إقليم كردستان. تركيا لوحده، من أصل 30 إمارة في جميع أنحاء كردستان. ولكن بسبب إلحاق الإقليم قسراً بالإمبراطورية العثمانية وسياسة المركزية التي اتبعتها والتي كانت تزداد شدةً، فإن هذه الإمارات قد دُمرت الواحدة تلو الأخرى.

لكن الفرس لم يسلموا بكون تابعية المناطق الكردية للعثمانيين، لذا لم ينقطعوا عن شن غارات على هذه المناطق لاستقطاع كردستان أو جزء منها، تلك الغارات التي استمرت حتى بدايات القرن العشرين، وكانوا أحياناً يفشلون وأحياناً أخرى ينجحون.

وإنه لمن الجدير بالذكر، والذي يُعتبر من سوء طالع الأكراد، أنهم وفي مناسبات عديدة قد خُدعوا ووجدوا أنفسهم، في نهاية المطاف، مجرد بيادق (أو أدوات) في اللعبة الدولية، أي في عملية فرض الهيمنة

على المنطقة، وذلك بدلاً من أن يقوموا أنفسهم باستخدام العداء والخصومات بين القوى المتحارية من أجل تحقيق أهدافهم. وقد تُعزى هذه الظاهرة إلى عدد من العوامل، من بين أبرزها:

- طبيعة التضاريس الجغرافية لكردستان والتي تُشكل عقبة كبيرة جداً في طريق الاتصالات بين المراكز السكانية المتناثرة في كردستان (التشضض الجغرافي).

- الوضع الاستراتيجي لكردستان، كونها بلاداً محاطة بالأرض من جميع الجهات (أي ليس لها منفذاً بحرياً)، الأمر الذي يعزلها عن العالم الخارجي.

- البنية القبلية والعشائرية للمجتمع (وخلال المراحل المبكرة القبائل المتنقلة أو الرحل)، الأمر الذي حال دون نشوء قوة كبيرة قادرة على فرض سيطرتها وتوحيد القبائل الصغيرة معها.

- الخصومات والعداء بين الأكراد أنفسهم لأسباب مذهبية (شيعة وسنة) والتي كانت تُستغل من قبل القوى المتنافسة في المنطقة (الصفويون الشيعة، والعثمانيون السنة).

- عدم بروز قائد قادر على لم شمل الأكراد وتوحيدهم تحت قيادة واحدة، وراء قضية أو هدف، سياسي أو ديني.

ومن أجل كسب ود كبار مشايخ وأمراء الأكراد فقد كان كل من العثمانيين والفارسيين يقتطعون لهم مناطق في أراضي الدولتين، لم

تكن قبائلهم قد حلت بها أو استوطنتها حتى ذلك التاريخ، وذلك في مقابل تأمينهم الحدود وضمان هدوئها واستقرارها.

في عام 1828 عندما ضاعت اليونان من حكومة الآستانة (الرجل المريض)، وخوف الأخيرة من التوسع الروسي في شرق الأناضول، قررت السلطنة دفع سيطرتها المباشرة باتجاه حدودها الشرقية وتولي أمر حراستها وضبطها، بأوامر مباشرة من اسطنبول، الأمر الذي قوض، ضمناً، الحكم شبه الذاتي الذي نعمت به الإمارات الكردية في القرون السابقة. ومما ساعد على ذلك تطور التكنولوجيا العسكرية في أوائل القرن التاسع عشر، الأمر الذي أصبح عمل منافسة بين الفرس والعثمانيين. ورداً على ذلك قامت عدة ثورات بقيادة الأمراء الأكراد، منها من طالب باستقلال كامل، ومنها من دار في خلده إثارة الدولتين العثمانية والصفوية على بعضها ومحاولة اللعب على خلافاتهما، وهما اللتان لن تكونا مرحبتين أصلاً باستقلال الأكراد في كيان سياسي جغرافي محدد. ومن الطبيعي أن يرى العديد من الأكراد، ولا سيما المثقفين والمفكرين منهم، هذه الثورات كبداية لنضال قومي كردي.

في هذا الوقت، أسندت القبائل الكردية إلى الأمراء أمر ضبط الأمن والسلام على طول الحدود، وتولى الآغوات وهم مشايخ القبائل، سلطة الإدارة اليومية والعادي من أمور السكان. لذلك تعاظمت أهمية طبقة الآغوات وتراجع نفوذ الأمراء في أواسط القرن التاسع عشر. ورغم

محاولات السلطات المركزية المسك المباشر بزمام الأمور في المناطق الكردية، إلا أنها لم تكن تستطيع أن تستغني عن نفوذ الآغوات الذين أصبح لهم الدور الأكبر في إدارة شؤون القبائل الكردية. إلا أن الورقة التي كانت تمسكها ضد كل آغا هي تحضير قريب له من الطامحين للسلطة واستخدامه كورقة تهديد دائمة ضده. وهكذا نستطيع أن نقول أن العلاقة التنافسية المثلثة الأطراف القائمة بين الشيخ الأول والثاني والدولة، استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر. هذه الفترة اتصفت بزيادة تأثير رجال الدين "الأسياد"، إذ عملوا على سد الفراغ الذي برز مع ضعف إدارة الآغوات "المشايخ".

ينتسب الأسياد بأكثريتهم إلى تنظيمي طريقتي القادرية والنقشبندية، اللتان انتشرتا بسرعة عبر كردستان منذ مطلع القرن التاسع عشر.

وفي الفترات التي كانت السلطنة العثمانية تتبع سياسات أكثر تشدداً، تُطبق فيها مركزية عالية، الأمر الذي كان ينتج عنه تطبيق سياسات ضريبية منهكة للأكراد، ويُؤدي بهم إلى الرزوخ تحت وضع اقتصادي صعب، كانوا يلجؤون إلى الثورات. وأكثر هذه الثورات بروزاً، في القرن التاسع عشر، كانت ثورتي 1853 و1880. فالأولى قادها يزداشير وانتشرت بسرعة في جميع أنحاء إقليم كردستان تركيا، ووصلت حتى بغداد. وقد تم تقدير قوة الثورة بأكثر من 100.000 محارب

عام 1855. أما ثورة 1880 فقد قادها عبيد الله، الذي كان يجهد إلى إنشاء دولة كردية مستقلة أو ذات حكم ذاتي. وانتشرت هذه الثورة من بحيرة "وان" في إقليم كردستان تركيا حتى بحيرة "أورميه" في كردستان - إيران. وعندما أشار عليه البعض تصفية السكان الأرمن في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الثورة، أعلن عبيد الله «إن الأتراك يحتاجون إلينا فقط كثقل مقابل المسيحيين، وعندما لا يوجد هنالك مسيحيون، فإنهم (الأتراك) سيوجهون عملياتهم الانتقامية ضدنا».

وكان الشيخ عبد الله النقشبندي، أول من دعا إلى قيام كيان كردي متمتع بالحكم الذاتي في عام 1878، ذلك الشيخ الذي هزمته السلطات العثمانية بمساعدة بعض الآغوات الأكراد.

أما الأسياد والمشايخ فلا يزال تأثيرهم أمراً محسوساً حتى اليوم، الأمر الذي يفسر انتماء ثلاثة من أبرز قادة الأكراد في القرن الحالي، وهم محمد البرزنجي، والملا مصطفى البارزاني، وجلال طالباني، إلى عائلات الشيوخ التي أفرزت عدداً آخراً من قيادات محلية أقل شأناً. وفي محاولة من السلطان عبد الحميد (1876 - 1909) لوضع السكان الأكراد والعشائر الكردية تحت السيطرة الكاملة، شكل الأخير وحدات فرسان غير نظامية تتكون غالبيتها من الأكراد عام 1901، كان أمراؤها من رؤساء القبائل الذين حصلوا على مراتب عسكرية.

في العام 1908 بدأ عدد من المثقفين الأكراد، ولا سيما أبناء الآغوات في تشكيل طبقة سياسية وإنشاء بعض المدارس، على إثر قيام ثورة الضباط الشباب (تركيا الفتاة) في السلطنة العثمانية، الذين وعدوا بإصلاح الدستور وتشكيل حكومة تمثيلية. إلا أن هذه المحاولات لم تتكلل بنجاح ملحوظ، لمعارضة السلطة العثمانية من جهة، وضغط بعض الآغوات من جهة أخرى، خوفاً على مواقعهم.

يذكر العلاقة الكردي محمد أمين زكي بيك في كتابه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" أنه في عام 1917 أنزل الجيش التركي الويلات والكوارث بالأكراد في أطراف ديار بكر وهجّر نحو سبعمائة ألف من مناطقهم، وأن هؤلاء توجهوا نحو الموصل وحلب وأضنة، وبعضهم إلى خط الحدود العراقية - السورية، كما دخل قسم منهم إلى سورية عبر خط الحدود هذا. ويضيف العلامة أن قسماً كبيراً من هؤلاء قد ماتوا جراء الجوع والمرض والبرد، وفي بغداد يعيش مئات ألوف الأكراد حتى الآن، لكن ذلك لا يجعل بغداد موطناً أصلياً للأكراد، كما أن وجود أكثر من خمسين ألف كردي في السويد لا يمنحهم حقوقاً جغرافية في هذا البلد، حتى بعد عشرات أو مئات الأعوام. فالأغلبية العظمى مثلاً من الأكراد في سوريا جاؤوا إلى هذا البلد كمهاجرين جراء الجرائم التركية بحق الأكراد وبعضهم تخلف في سوريا منذ أيام الدولة الأيوبية، كما حصل ذلك في مصر وبعض أنحاء بلاد الشام مثل لبنان والأردن وفلسطين.

واضح مما سلف أن كردستان الطبيعية تمثل موقعاً هاماً في النواحي الاستراتيجية والسياسية لأنها موجودة في قسم من أراض تحتوي ثروة نفطية ومائية، وتشرف على هذه الثروات في المناطق الأبعد. وكردستان حاجز طبيعي بين تركيا والعراق وسوريا، وهي تقلص مسافة الحدود العراقية الإيرانية. وتزداد أهميتها الاستراتيجية إذا لاحظنا أن دجلة والفرات ينبعان من مناطق كردية في تركيا، هذا بعد أن أصبحت المياه عنواناً ثابتاً لحروب مستقبلية في المنطقة.

توصلت القوى الاستعمارية، خلال فترة الحرب العالمية الأولى إلى معاهدة أبرمت بتاريخ 26 نيسان/ابريل عام 1916، وقعت عليها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية. وحسب نصوص المعاهدة فإن مناطق ماردين واورفة وأديمان، كانت ستصبح تحت سيطرة فرنسا (بالإضافة إلى مناطق أخرى من الشرق الأوسط)، أما بقية المناطق المكونة لإقليم كردستان. تركيا فستصبح تحت سيطرة روسيا القيصرية (بالإضافة إلى مناطق أخرى). سميت هذه المعاهدة بعد ذلك بمعاهدة سايكس بيكو، نسبة إلى اسمي وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا، حسب التسلسل. وبالرغم من أن المعاهدة كانت سرية، إلا أن النظام السوفيتي الجديد في روسيا، الذي أتى بعد ثورة أوكتوبر، قد كشفها وشجبها.

بعد انهزام السلطنة العثمانية في العام 1918، خضعت منطقة الشرق الأوسط لنظام عالمي جديد، إذ قرر الحلفاء توزيع التركة العثمانية وتقسيم تركيا. وساعد أيضاً على ظهور معاهدة سيفر عام 1920، التي فيها تم الاعتراف بحق الأكراد في إقامة مناطق حكم ذاتي لهم، يمكن أن تتحول بعد ذلك إلى دولة كردية، وذلك في الجزئين الشمالي والجنوبي من كردستان (كردستان تركيا وكردستان العراق)، ومبادئ "المدنية" التي اقترحها الرئيس الأمريكي ولسون، حيث جاء في البند الثاني عشر ما يلي: «ضمان توفير فرصة أكيدة وغير مقيدة لإعطاء الأقليات غير التركية من التابعين للسلطنة العثمانية فرصة غير مقيدة لتحقيق التطور والتقدم في إطار الحكم الذاتي».

وكانت جاذبية الفكرة الاثنية المتضمنة في البند الثاني عشر ستنطوي على مضاعفات مقلقة لشعوب اعتادت على العيش في إطار إمبراطورية متعددة الاثنيات والطوائف والمذاهب. لعل هذا ما جعل بعض أتباع السلطنة، وليس أقلهم شأناً وعدداً من الآغوات من قادة القبائل الكردية، يشعرون أنهم رعايا مسلمون لسلطنة مسلمة يفضلونها على كيان كردي مستقل يحتمل أن تتدهور فيه مكانتهم. هذا أيضاً يفسر اندفاع الأكراد بحماسة لمساعدة مصطفى كمال أتاتورك على القيام بحركته المضادة، متخلين بموقفهم هذا عن مكتسبات معاهدة سيفر التي قربتهم من احتمال إنشاء وطن قومي كردي، شعوراً منهم أنهم يحاربون لأجل الحفاظ على وطن إسلامي لكل الأمة.

الفصل الثاني

الأكراد في تركيا المعاصرة

بعد أن تأسست الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال "أتاتورك"، استطاعت تركيا استبدال معاهدة سيفر بمعاهدة لوران عام 1923، التي لم يرد فيها ذكر للقضية الكردية من ناحية الاستقلال، وبدلاً من ذلك نصت المادة 38 منها أن تضمن تركيا إعطاء الحرية الكاملة لكل سكان تركيا بدون تمييز بسبب المولد أو القومية أو اللغة أو العنصر أو الدين أو العقيدة. وهذه المعاهدة حافظت على وحدة الأراضي التركية، ومكنت أتاتورك من تأسيس الجمهورية التركية في عام 1923، الذي بعد ذلك تخلى حتى عما جاء في المعاهدة الأخيرة بشأن الأقليات ولم ينفذ أي شيء يتعلق بذلك، ولا تلك التعهدات التي عرضها على الأكراد مقابل مشاركتهم إياه في "حرب الاستقلال". وانحصر خطأ الأكراد هنا (الذي تكرر مراراً خلال تاريخهم السياسي الحديث)، بقبولهم بوعود عامة وغامضة (وغالباً شفهية)، قدمها لهم الكماليون، بدلاً من الإصرار على تعهدات مكتوبة. ومنذ هذه اللحظة ابتدأ الصراع التراجيدي بين الأمتين التركية والكردية، في ظل الجمهورية.

وكلما ازداد النظام الكمالي توطداً، كلما أصبح هجومه أكثر ضراوةً وإنكاره أكثر حدةً للحقوق القومية والسياسية والإنسانية

للشعب الكردي في تركيا. فلقد وضعت الحكومة التركية موضع الاستعمال، بل في الحقيقة أعادت استخدام، سياسة التتريك العثمانية القديمة، تلك السياسة الهادفة إلى تحطيم الشخصية الوطنية والهوية القومية للشعب الكردي.

وأصبح الأكراد ينقسمون بين طبقتين: طبقة ملاك الأراضي، وطبقة الفلاحين، وهم مجموعة من المزارعين والعمال الزراعيين، الذين لا يملكون أرضاً خاصة بهم، الأمر الذي لم يحل دون وعي عام مفاده أنهم شعب مميز منفصل، يختلف عن الأتراك.

قامت أول ثورة، بالمعنى الحديث للكلمة، في عام 1925 بقيادة الشيخ سعيد البيراني، وشملت هذه الثورة 14 ولاية من ولايات شرق تركيا. إلا أن القوات التركية شنت حملة واسعة تمكنت فيها من القضاء على الثورة، وتم اعتقال الشيخ سعيد وزملائه. وكان الاضطهاد القومي والحكم المطلق الاستبدادي والظروف الاقتصادية السيئة (كالارتفاع السريع في الأسعار واختفاء العديد من السلع الضرورية من الأسواق)، مجتمعةً، هي أسباب نشوب الثورة. أما أهداف الثورة فانحصرت باستعادة الحقوق القومية والثقافية والإنسانية والسياسية للشعب الكردي في تركيا، وإقامة الحكم الذاتي وتحسين الأوضاع القائمة في المنطقة الكردية من تركيا. وحسب ما اعترف به مصطفى كمال رسمياً، فإن الحكومة التركية اضطرت إلى استخدام (8-9) فرق

من القوات النظامية في هذه العملية، وتكلفت 50 مليون ليرة، أي ما يعادل 25٪ من قسم النفقات من ميزانية الدولة السنوية. دمرت خلالها أكثر من 206 قرية وبلدة كردية، ووصل عدد البيوت المحرقة إلى 8758 بيتاً، وعدد القتلى حوالي 15200. وبلغ عدد الضحايا من العائلات (10 ـ 15) ألف شخص. وحكم في 22 أيار/ مايو على 30 شخصاً بالإعدام شنقاً.

وقد عمدت السلطات التركية آنئذ إلى: نزع السلاح من جميع الأكراد، بغض النظر عن مشاركتهم في الثورة أو عدمها، وتوطين الأكراد في مناطق البلاد المختلفة، بحيث لا يشكلون الأكثرية في أي مكان، وتهجير الأتراك إلى المناطق الكردية. وجاء أفضل تعبير عن التمييز الذي أحاق بالشعب الكردي في تركيا، في تلك المرحلة، جاء على لسان المهاتما نهرو، الذي قال: "وهكذا فإن الأتراك الذين ربحوا حريتهم، سحقوا الأكراد الذين كانوا ينشدون حريتهم. إنه لمن الغريب أن تتطور قومية دفاعية إلى قومية عدوانية، وتصبح الحرب من أجل الحرية حرباً من أجل الهيمنة على الآخرين. ففي عام 1929 كان هنالك ثورة أخرى من قبل الأكراد، وأمة أخرى تم سحقها.. ولكن كيف يُمكن سحق شعب إلى الأبد وهو مصر على الحرية ومستعد لدفع الثمن."

وفي عام 1927، اندلعت في المناطق الشمالية ـ الشرقية من الأناضول انتفاضة جديدة، ولم يصل عام 1930 حتى أصبحت معظم

الولايات الشمالية ـ الشرقية في أيدي الأكراد عملياً. وفي آذار من عام 1931، تمكنت الحكومة التركية من القضاء على الثورة، بعد أن جندت لها حملة عسكرية كبيرة. وفي عام 1937 ورداً على قرارات الحكومة التركية في الشروع بإخضاع عشائر ديرسم شبه المستقلة إخضاعا تاماً، قامت انتفاضة عمت المنطقة ولم تتمكن القوات التركية التي استقدمت لهذا الغرض من إخمادها، إلا في تشرين الأول/ أوكتوبر عام 1938. وعلى الأثر أبلغ وزير الداخلية الحكومة بأن القضية الكردية لا وجود لها بعد اليوم. و قال: «إن الأشقياء جرى تلقيحهم بلقاح الحضارة عن طريق القوة... ذلكم هو الموقف الرسمي. والأكراد في تركيا يسمون بأتراك الجبال».

وفي عهد عصمت اينونو، خليفة أتاتورك، اتبع السياسة العامة في منطقة الشرق الأوسط تجاه الأكراد، وهي التمثل ـ أي أن الحكومة في تركيا "تُتَرِّك" الأكراد، والحكومة العراقية "تُعَرِّب" الأكراد والحكومة الإيرانية "تُفَرِّس" الأكراد. ومنع عصمت باشا أن يتحدث الأكراد لغتهم الكردية ومنع أن يغنوا ـ وهم أهل جبال ـ أغانيهم الكردية، واتخذ إجراءات غير عصرية ضدهم. هذه الإجراءات جعلت أكراد تركيا بالضرورة يصبحون، معنوياً، من مواطني الدرجة الثانية.

أما في مرحلة الحرب العالمية الثانية فلم تتخذ حركة الأكراد القومية في تركيا وفي السنوات الأولى التي أعقبتها، نطاقاً واسعاً بسبب

الإرهاب العسكري. البوليسي والإداري، لأن الأوساط الحاكمة احتفظت بجزء هام من قواتها، الذي يمكن أن يستخدم عند الحاجة لقطع دابر كل شكل من أشكال التعبير عن استياء الأكراد. وبشكل عام يمكننا القول أن الأكراد في تركيا حافظوا على الهدوء، لصالح دول الحلفاء، كي «لا يخلقوا مصاعب في منطقة حيوية هامة». وكان زعماء الأكراد يأملون في حل قضيتهم، بعد انتهاء الحرب. وأخذوا يوجهون رسائل إلى دول الحلفاء والأمم المتحدة مطالبين بحق تقرير المصير والسيادة، ومما جاء في أحد رسائلهم: «.. يصر الشعب الكردي على أن تعود إليه حقوقه، معتبراً أن هذه الخطوة الأولى على طريق حق تقرير المصير والسيادة..».

أما الحكومة التركية فقد استمرت في إهمال القضية الكردية بعد الحرب أيضاً. وقد حاولت تبيان الأمر للعالم على نحو أنه لا وجود للأكراد في تركيا، وبالتالي لا توجد مسألة كردية. وهذا ما أكده مراسل صحيفة "نيويورك بوست" ماورير في نيسان/ إبريل 1946، حين قال: «قتلوا الأكراد في تركيا بالجملة، وطردوهم من ديارهم وعلى نطاق واسع جداً، بحيث تستطيع الحكومة التركية أن تؤكد الآن: لا توجد مسألة كردية في تركيا». أما مراسل الـ "ايكونوميست" فقال في أيار/ مايو 1946: «الأكراد كعب أخيل الدولة التركية. فلا يعرف شيء محدد عن مصيرهم في تركيا، وتعيش كردستان. تركيا خلف ستار حديدي».

وفي مرحلة صراع الأحزاب البرجوازية التركية على السلطة (حزبي الشعب الجمهوري والديمقراطي)، أخذت دوائرهما في استمالة الناخبين الأكراد إلى جانبها، فتقربت من الشيوخ والآغوات الأكراد. وفي عام 1947، أعلن رئيس الوزراء «أنه يجب منذ الآن استدعاء الأكراد إلى الجيش أسوة بالأتراك». وبمقتضى مادة مؤقتة أدخلت إلى الدستور أوقفت جميع المضايقات في حقوق الأكراد، الذين تم تهجيرهم قسراً إلى المناطق البعيدة، وسمح لهم بالعودة إلى ولاياتهم خلال عام، ما عدا مناطق آغري، وصاصون، وتونجيلي وزيلان.

وأخذت سياسة حكومة حزب الشعب الجمهوري منحى الازدواجية في القضية الكردية (مغازلة القيادة الإقطاعية الكردية من جهة، ومواصلة سياسة الصهر من جهة أخرى)، الأمر الذي أضعف من مواقع الحزب الحاكم، وزاد من نفوذ الحزب الديمقراطي المعارض، وذلك في الولايات التي يؤلف الأكراد غالبيتها. وبالنتيجة صوت الأكراد في انتخابات 1950 بشكل رئيس لصالح الحزب الديمقراطي (جلال بايار، عدنان مندريس)، الذي وعد أثناء حملته الانتخابية بمنح الأكراد حقوقاً متساوية، أسوة بالأتراك، واتخاذ تدابير لتطوير الاقتصاد في المناطق الكردية. إلا أنَّ هذا الحزب لم يطبق أياً من وعوده.

وكتب عيديمير، أحد كبار ضباط الجيش التركي، الذي عمل بالسياسة وأُعدم إثر محاولة انقلاب قام بها، واصفاً مواقف الأحزاب السياسية من المسألة الكردية في أعقاب تسلم الحزب الديمقراطي مقاليد السلطة في البلاد قائلاً: «إن التأثير على الناخبين في الجزء الشرقي من البلاد، وإمكانية استغلال نفوذ الشيوخ المحليين، أصبح مادة للصراع والمساومة.. بين الحزب الحاكم والمعارضة».

في ربيع عام 1960 احتدم الوضع السياسي في تركيا احتداماً شديداً، فقد وقع في 27 أيار/ مايو 1960 انقلاب عسكري في البلاد، أسفر عن تسلم الأوساط العسكرية العليا زمام الحكم فيها. وأحد أسباب هذا الانقلاب، كان القضية الكردية، التي كان أصحاب الانقلاب يعتبرون أن وجودها يهدد وحدة الدولة. وظلت هذه القضية بعد سقوط الحزب الديمقراطي وإعدام عدنان مندريس من أكثر القضايا إلحاحاً.

في أعقاب انقلاب 1960، أطلق سراح عدد كبير من المعتقلين، إلا أن ممثلي الفئة المثقفة الكردية ظلوا في السجون، أولئك الذين اعتقلوا بتهمة "النشاط المعادي للمصالح الوطنية". وادعت الزمرة العسكرية أنه وقع في أيديها وثيقة تشير إلى محاولة عدد من أعضاء الحزب الديمقراطي، الذي أطيح به، إنشاء دولة كردستان. وعلى إثر ذلك جرى اعتقال 244 شخصية كردية، أودعوا معسكر الاعتقال في سيواس.

وفي الأيام الأول التي أعقبت الانقلاب، أجرى الكاتب التركي التقدمي يشار كمال، أحاديث مع القادة الأتراك الجدد، بينت أن هؤلاء يتمسكون بالنظرية العنصرية في المسألة الكردية. وفي تشرين الأول/ أوكتوبر 1960 صدر القانون 105، الذي بمقتضاه يتم تهجير العائلات الكردية، غير المرغوب فيها، وبصورة قسرية، من ديارها الأصلية إلى مناطق أخرى في تركيا. كما أتى دستور 1961 في مواده، ليعرقل حل القضية الكردية على أساس ديمقراطي.

في الستينات وإبان تصاعد المد الجماهيري التركي اليساري، أخذت الحركة الكردية مكاناً ودوراً بارزاً في تركيا. وعقدت اجتماعات كثيرة في الولايات الشرقية، رفعت الشعارات التالية: «يا مواطن الشرق! طالب بالاعتراف بحقوقك المشروعة!»، «هدفنا هو ضمان المساواة والأخوة والسعادة»، «لسنا بحاجة إلى الجندرمة، بل إلى المعلمين»، «نطلب مدارس، وليس مراكز بوليس»، «سيحصل مواطن الشرق حتماً على الاعتراف بحقوقه الإنسانية والمدنية!». وقد جرى الحديث في هذه الاجتماعات عن تهجير 55 قائداً كردياً إلى المناطق الغربية. وانتقد عدد كبير من الخطباء انتقاداً شديداً السياسة الرجعية للأوساط الحاكمة في تركيا، إزاء الولايات الشرقية التي يشكل الأكراد فيها غالبية السكان.

أثار تطور الأحداث في شرق البلاد قلقاً كبيراً لدى الأوساط الحاكمة التركية. وفي حزيران/ يونيو 1966 جرى في أنقرة اجتماع سري للمستشارين من 21 وزارة من وزارات تركيا، ناقشوا فيه المسألة الكردية. واتخذت هذه الاجتماعات قرارات هامة موجهة إلى عزل الجماهير الكردية عن الحركة التحررية في تركيا.

في تشرين الأول/ أوكتوبر عام 1967، انعقد في أنقرة اجتماع لمجلس الأمن القومي برئاسة جودت صوناي رئيس الجمهورية. جرى في هذا الاجتماع مناقشة القضية الكردية إلى جانب المسائل الأخرى. وكتبت حينها صحيفة "مليبت" تقول: «وصف مندوبان إثنان من ذوي النفوذ في مجلس الأمن القومي الأحداث الجارية في شرق الأناضول بأنها أعمال تحريضية».

في شباط/ فبراير 1967، أصدرت الحكومة التركية المرسوم رقم 7635/6، الذي يحظر «إدخال أية مواد أجنبية الأصل باللغة الكردية وتوزيعها في تركيا، مهما كان نوعها (مطبوعات، أسطوانات، أشرطة تسجيل، وغيرها)».

ولاحقاً استمرت الأوساط التركية الحاكمة في انتهاج سياسة صهر الأكراد في البلاد، بعد أن منعتهم من فتح مدارس لهم وإصدار مطبوعات باللغة الكردية. ولهذا الغرض بدأت بإنشاء مدارس داخلية خاصة للأكراد. وكان الهدف المعلن من هذه المدارس: «المساعدة في نشر

الثقافة واللغة التركية. وتتريك الجيل الجديد في ديار بكر، ووان، وأرضروم، وقارص وغيرها من مدن الأناضول الشرقية».

وهكذا، نجد أن سياسة الحكومة في ظل نظام التعددية الحزبية إزاء المسألة الكردية لم تتغير إلا قليلاً عن ظروف نظام الحكم الواحد. ولم يتغير سوى أشكال الإكراه وأساليبه.

في أواخر الستينات لم يترسخ الوعي القومي فقط، بل الوعي السياسي أيضاً لدى الشعب الكردي. وهذا ما دلت عليه أعداد المشاركين في المظاهرات وأعمال الاحتجاج، التي جرت في شرق البلاد عام 1969.

ففي أواسط الستينات أسس الوطنيون الأكراد حزباً سرياً هو الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا، هدفه النضال في سبيل حكم ذاتي إداري وثقافي للشعب الكردي، في إطار الجمهورية التركية. وعمل في تركيا في ذات الفترة حزب تحرير الأكراد في تركيا ورابطة الحرية ومنظمة مقاتلي كردستان. وقد مارست جميع هذه المنظمات الكردية نشاطاتها في غاية السرية.

وإلى جانب الأحزاب السياسية السرية، أخذت تشكل منظمات الشبيبة العلنية وغيرها من المنظمات الاجتماعية والجمعيات. وأقيمت بمبادرة مجموعة كردية من حزب العمال التركي مراكز ثقافية في الشرق، شملت جميع المدن الرئيسية والمراكز السكانية الكبيرة في

كردستان تركيا، التي أصدرت بين عامي 1969 ، 1971، 9 نشرات ونشرت 24 وثيقة أخرى، بما فيها نداءات وجهت إلى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

وفي مؤتمره الرابع أعلن حزب العمل التركي أمام الملأ، أنه يوجد شعب كردي في شرق تركيا، وأشار في برنامجه إلى التخلف الاقتصادي في المناطق الشرقية من البلاد وإلى التمييز العنصري الذي يُعاني منه سكان هذه المناطق (لاسيما أولئك الذين يتكلمون اللغة العربية أو الكردية) في المجالين الثقافي والاجتماعي، وإلى ضرورة القضاء على هذه الأوضاع. لكن هذا البرنامج أكد على أنه يقف بحزم ضد المذاهب الانفصالية. وغني عن القول أن مثل هذا التطور لم يرق للأوساط الحاكمة في تركيا، التي خشيت من قيام جبهة واحدة للقوى التركية والكردية المعارضة. ففي أوائل السبعينات قامت وحدات "كوماندوس" والجندرمة التركية بشن هجمات على هكاري، وماردين، وسيلفان، وباطمان وبيسميلي وديار بكر وملا زغرد وتوتاك وتيكمان وكاريازي وكيفي. ترافقت هذه الغارات مع اعتقالات جماعية بين صفوف الأكراد والتنكيل بالمدنيين في كردستان تركيا. وقد اعتقلت وحدات الكوماندوس 3 آلاف كردي، أكثريتهم من الرجال، وقامت بتفتيش البيوت وتعذيب الرجال واغتصاب النساء.

وأكثر من عبر عن هذه المرحلة، الصحفي الفرنسي بيير فينو، حينما تطرق إلى هذه المرحلة الجديدة في مسار الحركة الكردية، إذ

قال: «إذا كان صحيحاً أن قادة أنقرة كانوا يضعون على الدوام، ظلماً، مطالب الأكراد حتى أبسطها، (مثلاً، حق إصدار الصحف باللغة الكردية) في مستوى واحد مع الجريمة ضد وحدة الأراضي الجمهورية، فليس أقل صواباً أن التقارب المثير بين القوى التركية اليسارية والحركة الكردية القومية لم يضع موضع الشك نظام أنقرة السياسي فحسب، بل وأسس تركيا المعاصرة، نفسها كدولة، وكذلك الأيديولوجيا الكمالية وليدة الثورة القومية».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البرلمانات التركية في تلك المرحلة كانت مجالسها تضم من (80 - 90) نائباً من أصل كردي، لكن الأكثرية الساحقة منهم عبرت عن مصالح البرجوازية الكردية التجارية الكبيرة، من الآغوات والشيوخ والملاكين، الذين قاموا بالتعاون مع البرجوازية التركية باستغلال جماهير تركيا المتعددة القوميات.

وفي نيسان / إبريل 1972، قامت السلطات العسكرية بحملة تأديبية في ديار بكر وسرت، اعتقلت على إثرها 10 آلاف شخص.

بعد انتخابات 1973، واستلام بولند أجاويد مقاليد السلطة، التي تشكلت من ائتلاف حزب الشعب الجمهوري وحزب النظام الوطني بزعامة نجم الدين أرباكان، صدر في عام 1974 قانون عفو، بمقتضاه أخرج عدد كبير من الشخصيات الكردية من السجون، الأمر الذي أدى إلى إنعاش الحياة السياسية ونشاط الأكراد في البلاد. ففي عام 1974

أنشأ الحزب الاشتراكي الكردستاني في تركيا ومنظمة "طريق الحرية"، التي شكلها المثقفون الأكراد.

غير أن الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا كان أكثر الأحزاب نفوذاً، ففي عام 1974 اتخذ برنامجاً للحزب جاء فيه: «بعد تشكيل الجيش الشعبي يترتب على الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا وفي مجرى نضال طويل تطهير المناطق الكردية من القوات التركية المسلحة، وإقامة سلطة شعبية ديمقراطية في كردستان تركيا».

في عام 1975، شكلت الشبيبة الكردية في كل من اسطنبول وأنقرة جمعيات ثورية ـ ديمقراطية علنية، انضم إليها أعضاء المراكز الثقافية السابقين في الشرق. كما عملت في كردستان تركيا، بصورة علنية، جمعية النساء الثورية الديمقراطية ومجموعة "المعلم الثوري الديمقراطي ـ أنصار تجديد الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا.

وهكذا انتشرت الحركة القومية ـ الديمقراطية في كردستان تركيا انتشاراً واسعاً. ففي هذا الوقت "نهاية السبعينات وبداية الثمانينات"، عملت هذه الحركة في ظروف سرية وشبه سرية، من خلال التنظيمات السياسية التالية: حزب العمل الكردستاني (أنصار شفان)، وحزب العمال الكردستاني (أبوجي) والحزب الاشتراكي الكردستاني في تركيا، وحزب تحرير كردستان... إلخ.

كل ذلك أثار ذعر وقلق الأوساط الحاكمة في تركيا، ولجأت إلى ممارسة شتى أنواع الترهيب والترغيب وإثارة الفتن بين صفوف الشعب الكردي، ومحاولة تشكيل تنظيمات كردية مدسوسة فيه.

هكذا نرى أن أخطر مشكلة تواجهها تركيا في الوقت الحاضر والتي مهيأة للاستفحال في المستقبل ، والتي أيضاً تمثل معضلة حقيقية داخل المجتمع التركي، هي المسألة الكردية. فمنذ أيام الإمبراطورية العثمانية وبعدها تأسيس الجمهورية التركية عام 1923، على أساس قومي تركي وفي عهود التعددية الحزبية البرجوازية في الجمهورية التركية، بقيت السياسات بالنسبة للأكراد على ما هي عليه، مكررة سياسات العثمانيين وأتاتورك.

وكان الاستثناء الوحيد من بين حكام تركيا هو الرئيس التركي تورغوت اوزال، الذي حطم تدريجياً "سور الصين" التركي إزاء الأكراد. فعمد إلى الاعتراف بالقومية الكردية وأكد أن من المستحيل تجاهل طموحات الأكراد البالغ عددهم أكثر من عشرة ملايين في تركيا. ثم توالت الإصلاحات، وسمح باللغة الكردية حديثاً وكتابة، ودخل نواب أكراد للمرة الأولى إلى البرلمان التركي (بعضهم أدى القسم باللغة الكردية). حتى أن اوزال طرح فكرة الاتحاد الفدرالي. لكن اوزال رحل "فجأة" وكان هو الوحيد القادر من المؤسسة الحاكمة على التعامل مع المسألة الكردية تعاملاً براغماتياً. وجاءت وفاته قبل أيام قليلة على

اجتماع كان مقرراً لمجلس الأمن القومي، كان يفترض فيه أن يطرح برنامج إصلاحي للتعامل مع هذه المسألة، الأمر الذي يشكك فيه باحتمال موت اوزال غدراً من قبل أجهزة أمن الجيش.

وبعد اوزال في حكومة الثنائي ديميريل . تشيللر لم تبد الدوائر المدنية في السلطة أي ضغط على المؤسسة العسكرية، من أجل حل المسألة الكردية. وعندما كان ديميريل في المعارضة كان يتهم اوزال بالخيانة، بسبب أطروحاته السابقة الذكر لحل المسألة الكردية. إلا أنه عندما أتى إلى السلطة وتسلم رئاسة الوزراء، كان أول عمل قام به هو جولة على المناطق الكردية، حيث خاطب السكان مباشرة ودعا المجتمع التركي إلى الاعتراف بـ "الواقع الكردي". وسجل أحد الصحفيين مشهداً فريداً من نوعه لهذا التحول، إذ نطق رئيس هيئة الأركان التركية بالكردية منتهكاً أهم المحرمات على المؤسسة العسكرية. وصفت هذه الجولة، التي قام بها سليمان ديميريل، بأنها جولة انتخابية من الطراز البراغماتي الأول، حيث حاز على أصوات معقولة من الأكراد مقابل فوز 22 نائباً كردياً ينتمون إلى حزب العمل الشعبي الكردي إلى البرلمان (وهم متعاطفون مع حزب العمال الكردستاني) ويقال أن أوج آلان صادق شخصياً على ترشيحهم.

أما أردال أينونو (ابن ثاني رئيس للجمهورية التركية وخليفة أتاتورك)، زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الشعبي الذي

رافق ديميريل في هذه الزيارة فقد قال: «في كل مكان من العالم يبحث الناس عن هويتهم».

أما الأوساط الاقتصادية في تركيا فقد كانت تنظر إلى مسألة الأكراد في الأناضول على أنها ليست مجرد أعمال متمردين على السلطة المركزية، كما يرى العسكريون الأتراك، بل كمشكلة تخلف اقتصادي وتكامل. فقد صدر، في عام 1994، تقرير عن اتحاد غرف البورصات التركية، الذي ترأسه باليم ايريز (حزب الطريق القويم)، جاء فيه أن مشكلة جنوب شرق تركيا هي مشكلة تكامل، بمعنى أنها تعكس هوية مختلفة عن هوية المناطق الأخرى. ويتهم التقرير المهربين والموظفين الحكوميين (ومعظمهم من العاملين في دوائر الأمن والاستخبارات القوات المسلحة) بأنهم المستفيدين الأول من استمرار الصراع المسلح مع حزب العمال الكردستاني. ويبرز التقرير النقطة الهامة والمركزية فيه والتي تتعلق برغبة سكان جنوب شرق تركيا (الأكراد في معظمهم) في العيش بسلام و "كما يريدون" في إطار فيدرالية. ودعا التقرير إلى الاستفادة من نماذج عالمية لحل المشكلات العرقية، مثل نموذج الباسك ونموذج ايرلندا الشمالية، ويرى واضعو التقرير أن المشكلة الكردية خرجت عن كونها مسألة سياسية إلى مسألة نظام، الأمر الذي يدعو إلى تصحيح النظام القائم. وعلى الإثر أقدمت المؤسسة العسكرية على استدعاء كاتبي هذا التقرير وحققت

معهم.ولم تكتف بذلك، بل هرعت ودعت إلى اجتماع ٍ لرموزها، تسربت عنه معلومات مفادها أن رئيس أركان الجيش، أشار في تلك الاجتماعات التي استمرت 3 أيام، إلى أن تركيا جمهورية علمانية وديمقراطية، وإلى أن الأخطار تتفاقم وتتعاظم، فيما وظيفة الجيش "واضحة" وهي حماية تركيا من "الأخطار الداخلية والخارجية". وترافق ذلك مع تصريحات أطلقها سليمان ديميريل رئيس الجمهورية، من أن المؤسسة العسكرية قلقة وغير مرتاحة، ناصحاً بالاستفادة من تجارب الماضي، التي قام بها الجيش (انقلابات 1960، 1971 و 1980).

وعندما قَدُم حزب الرفاه "الإسلامي" إلى السلطة بزعامة نجم الدين أرياكان، وشكل حكومة ائتلافية مع حزب الطريق القويم بزعامة طانسو تشيللر، أخذ العامل الكردي يلعب دوراً هاماً في المسألة السياسية، لأن حزب الرفاه امتلك شرعية في هذا المجال، طالما كان بإمكانه التحدث إلى الجميع، أتراكاً وأكراداً، بلغة الشريعة الإسلامية، حيث لا يستطيع الأكراد صم آذانهم عن سماع ما يأمر به الله، لاسيما حينما أصبح المنادي بهذا الصوت أقرب إليهم من أي طرف سياسي آخر في البلاد. وهكذا نستطيع القول أن نجم الدين أرياكان وحزبه كانا حاضرين في الدولة التركية، من أتراكها وأكرادها، فكلاهما ينتمي إلى الإسلام إرثاً وحاضراً. وعندما كان يُنادي حزب الرفاه، في أروقة البرلمان، بأنه لا يجوز على المسلم قتل أخيه المسلم، فإن كلامه هذا يكون

موجهاً إلى السلطة من جهة، وإلى الأكراد من جهة أخرى. هذا وقد لعب حزب الرفاه بهذه الورقة المهمة جداً لتحقيق أهدافه، التكتيكية (الفوز بالانتخابات البلدية، لاسيما بلدية اسطنبول) منها، والاستراتيجية (استلام السلطة في تركيا).

وفي نهاية التسعينات، أخذت الحكومة التركية، تلجأ إلى استخدام الجيش التركي والمافيا التركية لترحيل الأكراد إلى أوروبا، لاسيما إيطاليا، حيث كان يتم ترحيل "المجتمع المدني الكردي" إلى آفاق مسدودة. فقد كانت هنالك قوات من الجيش تواكب الحافلات التي تقل المرحلين إلى البحر الأسود، حيث كانت تنتظرهم بواخر المافيات. أثار هذا الأمر عصبية وامتعاض الحكومة الإيطالية، التي جاء رد فعلها على لسان وزير خارجيتها، حين قال: «لابد من عقد طاولة سياسية دولية لبحث القضية الكردية». قال هذا القول وهو يراقب تدفق "سفن الأمل" إلى البر الإيطالي، التي كانت تعبر منه إلى دول الاتحاد الأوروبي.

هكذا نرى أن أخطر مشكلة تواجهها تركيا في الوقت الحاضر، والمهيأة للاستفحال في المستقبل هي المسألة الكردية، والتي أيضاً تمثل معضلة حقيقية داخل المجتمع التركي. فمنذ أيام الإمبراطورية العثمانية وبعدها تأسيس الجمهورية التركية عام 1923، على أساس قومي تركي واستبعاد الأكراد وغيرهم من الأقليات من دائرة الحكم

والقرار وإنكار وجودهم القومي وهويتهم القومية، باتت تركيا أمام حركات تمرد وانتفاضات ونزعات رفض كردي. وجذر المسألة يكمن هنا في النظرة الخاطئة للدولة التركية إزاء الأكراد، واتباع سياسة عنصرية، لا تقيم وزناً لوجود وتطلعات الأكراد القومية والثقافية والحضارية. وما زال المسؤولون الأتراك يتصرفون حتى اليوم بعقلية مؤسس الجمهورية، التي مثلها في بدايات عصر الجمهورية، وزير العدل التركي قائلاً: "إن التركي هو السيد الوحيد والمعلم الأوحد في هذا البلد. وأولئك الذين ليسوا من جذرٍ تركي لهم حق واحد في أن يكونوا خدماً وعبيداً للأتراك." يضاف إلى ذلك المعاملة القروسطية، والمقصود منها إبقاء المناطق الكردية في حالة تخلف وركود اقتصادي واجتماعي. وتركيا منذ إنشاء الدولة انقسمت إلى نصفين غير متكافئين: نصف غربي تنتشر فيه الصناعات ومراكز الثقافة والإعلام والسياحة والرفاهية؛ مقابل نصف شرقي تسود فيه العلاقات الاجتماعية المتخلفة في ظل بنى إقطاعية وعشائرية وطائفية، وتدني في المستوى التعليمي والمعيشي، تلك المناطق التي تقطنها غالبية كردية.

وتجدر الإشارة إلى أن في تركيا 24 مجموعة عرقية مختلفة، أكبرها الأكراد (من 10 - 12 مليون نسمة) ويتبعها الأرمن ثم العرب ثم اليونان والبلغار والفرس .. الخ.

الفصل الثالث

فكر وممارسة عبد الله أوج آلان

في السبعينات، كان عبد الله أوج آلان (1949 -   )، الرجل اليافع الذي تمرغ قليلاً في مدرسة السياسة، مع الأكراد والأتراك في حركات اليسار، والذي غادر قريته النائية إلى أنقرة ليدرس العلوم السياسية فيها، والذي أخذت أحلامه تنحاز إلى الفقراء، والذي أخذ يحاول هو ونفرٌ من زملائه البحث عن طريق أكثر جدوى لإيصال شعبه إلى بر الأمان، والمناداة بحل عادل للمسألة الكردية برمتها، كمسألة شعب مجزأ ومهمش ومسحوق.

في إحدى المرات، وبينما كان أوج آلان جالساً مع لفيف من رجال وأولاد قريته في ظل أحد المساجد، وبينما هو يتحدث، التفت إليه رجل عجوز وقال: «ولدي.. نحن نشبه العود اليابس القديم هذا.. فهل تستطيع أن تُحيينا وتبعث فينا إكسير الحياة؟». وفي عام 1994، زار أحد الشعراء أوج آلان وذكره بعبارة كان قد قالها: «عليّ أن أكون وردةً مزروعةً في الصخر، أي أن أجهد وأنجح لأكون كذلك. وأبعث الحياة في عود جاف، ثم التحول إلى وردةٍ مزروعة في الصخر».

إنه أوج آلان - الآخذ بالثأر "آبو"، إنه ذلك الشاب الذي أتى من قرية كردية نائية، ومن عائلة نائية أيضاً. فالزعامات الكردية كانت

تأتي من بطون القبائل وأفخاذها لتندلق في بطون التوازنات الدولية وتتحول من لاعب إلى لعبة. ومن يومها كان على "آبو" أن ينتقل من خندق إلى خندق ومن جغرافيا إلى أخرى، لتأخذ تركيا بارتكاب كل المجازر الممكنة بحق مقاتليه وأنصاره وشعبه. أكثر من /2500/ قرية أفرغت من سكانها، وأكثر من /30/ مدينة دمرت، وتسببت الغارات التركية بين عامي 1984 و1996 بقتل أكثر من عشرة آلاف من الأكراد، هذا بعد أن اضطر خمسة ملايين منهم على الهجرة من قراهم ومدنهم ليتوزعوا في المنافي القريبة والعالمية الكبرى. هذا الرجل الذي أوصلته علاقة عاطفية إلى الاختيار بين العاطفة وكردستان على شكل: «إما أنا أو كردستان؛ و إما أنا أو الحزب؛ و إما أنا أو جميع الرفاق». هذا الرجل الذي كان يقبل الرشوة، في عمله الوظيفي ليجعل منه رأسمالاً كي يشكل أرضية لعمل ثوري. وكان بذلك يطبق أحد شعارات، أخذت بها انتفاضة الطلبة في باريس عام 1968: «إننا مستعدون للعمل مومسات حتى نعمر الكنائس».

ولكي نتعرف على أوج آلان، علينا أن نتعرف على فلسفته والجانب الفكري لديه، وممارساته العملية في إدارة الصراع مع الأتراك والأطراف الأخرى في المنطقة التي يعمل فيها والعالم، والأهداف التي يرمي تحقيقها.

يقول أوج آلان: «الفلسفة والاشتراكية والدين، هذه مفاهيم توحدت وصُهرت بي.. لقد صنعت شيئاً آخر من هذا الثلاثي بحيث لا

ينفصل أحدهما عن الآخر. أو يُستبدل أحدهما بالآخر. هذا الأمر لم يتحقق ببساطة وسهولة.. تحقق هذا بعد حرب طويلة خضتها مع نفسي.. إن الجوهري من الدين في نفسي، والأمور الخيرة من الاشتراكية في نفسي، والأسئلة الكبرى من الفلسفة فيها أيضاً، ولولا ذلك لما تم تشكلي.. لقد شكلت نفسي من المجموع الخير لهذه القيم.. في نضالي هنالك مكان للاشتراكية، ولكنني في الحقيقة أبعد من مجرد ذلك .. لست ماركسياً تقليدياً، ولا توجد لدي نظرة ذات بعد واحد، مثل القومية، الدين، الجنسية، المذهب، فديالكتيك منطقة الشرق الأوسط يتطلب أكثر من الأنبياء.. إن على قياديي هذا الشرق أن يكونوا أكثر من أنبياء، وعملي قريب من الأخيرين، بأسلوبي وشخصيتي وبإيماني وبإنسانيتي ومبادئها، وأنا لا أعتبر نفسي قائداً لحركة تحرر وطني، فالأساس الذي أنطلق منه هو الإنسانية.. فأنا أحياناً أقارن بين ظهور حزب العمال الكردستاني وظهور الإسلام، وهنا يقول بعض السطحيون اليساريون: إنه يظن نفسه نبياً.. المسألة بالنسبة لي ليست مسألة حسابية.. هذا الكم من التجارة أو ذاك الكم من السياسة.. إنها مسألة إيمان وعقيدة».

تميز حزب العمال الكردستاني عن غيره من أحزاب اليسار واليمين على حد سواء بأنه لم يتضمن في تركيبته القيادية مكتباً سياسياً ولا لجنة مركزية ولا أميناً عاماً، ولم يكن له تراتبية هرمية،

فكان أوج آلان (آبو) هو المكتب السياسي واللجنة المركزية والقائد وجميع الصفات. وهذا أوج آلان يبرر ذلك قائلاً: «لم أثق بالأسلوب الذي تم فيه بناء الأحزاب الشيوعية، ولا الأحزاب البرجوازية. ولم تكن تشدني فكرة المكتب السياسي واللجنة المركزية وحتى منصب الأمين العام. لأن هذه التسميات فسحت المجال للانتهازية والبيروقراطية. وأصبحت ميالاً إلى الأسلوب الذي اتبعه الأنبياء منهجاً وطريقة رؤية، كمؤسسة الحواري لدى سيدنا عيسى عليه السلام ومؤسسة الخلفاء لدى محمد (ص)، يمكنها أن تكون فعالة وعملية أكثر من مؤسسة المكتب السياسي. وفي الحالة الأخيرة تصبح دكتاتورية الأمين العام على المكتب السياسي ودكتاتورية المكتب السياسي على الحزب، ودكتاتورية هؤلاء مجتمعين على الشعب، جميعها تلخص تاريخ الأحزاب العربية منذ نشأتها، وكان هذا أحد أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي». بالإضافة إلى ذلك تميز حزب العمال الكردستاني بعدم وجود أو ظهور شخصية ثانية في الحزب، الأمر الذي دعا البعض لوصف شخصية (آبو) بالكارزمية، إلا أنه يعلل ذلك قائلاً: «إن المسألة المهمة لدي تكمن في أنه لم تظهر الشخصية الثانية بعد ولن تظهر، ويجب أن لا تظهر. بل ليس هنالك شخصاً أولاً.. والحل هو أن ننسف كاريزما (آبو).. لذلك أرى أن أسلوبي وشخصيتي على هذا الصعيد هو شيء مختلف، فأنا محارب وليعلم الجميع أن حربي هنا كبيرة جداً..

ولو لم أفعل ذلك فإن المنضمين إلى حزب العمال الكردستاني والذين يقتربون مني سوف يأكلون بعضهم بعضاً، حتى قبل بدء الثورة، فمجتمعنا الكردي هو أشد تعقيداً من المجتمع الروسي أو المجتمع العربي، وبالفعل كانوا سينهشون بعضهم البعض.. إن الحل الذي رأيته هو الحيلولة دون ظهور مثل هذه الشخصيات». وبعيد انتقال أوج آلان إلى أوروبا انتقد مواقف قيادات حزبه في تعاطيها مع هذا الشأن، قائلاً: «إنهم لايزالون يكررون أنني قائد هذا الحزب والمسؤول الأول فيه وأنهم ينتظرون تعليماتي... ماذا يُمكنني أن أفعل وأنا قيد الإقامة الجبرية في منزلي؟ لماذا لا يتصرفون بما تُمليه عليهم التزاماتهم.. إنني أحررهم من أي التزام بي كرئيس للحزب.. حتى لو أرادوا تأسيس أحزابهم الخاصة».

أما من حيث موقف أوج آلان من مسألة الدولة فهو لا يؤمن بالشكل التقليدي لها، وقد قال بهذا الصدد: «الدولة التي تبعد الشعوب عن بعضها ليس لها فائدة لهذه الشعوب، ولهذا فإن صيغة الدولة في الإسلام وكذلك في الاشتراكية الحقة ليست على هذه الشاكلة.. إن المفهوم الضيق للدولة هذا قد ظهر متأخراً (دولة التخوم والحدود).. في بداياتنا كنا نفكر على هذا النحو وكنا نبحث عن حلول لمعضلة الدولة، ولكننا الآن نفكر بشكل أوضح وأشمل.. إن ما يمكن أن نفعله هو أن نجعل من دولة كردستان فدرالية الشرق الأوسط.. أي شعب يريدنا أن

نتحد معه يمكننا الاتحاد معه، على أسس من المساواة، وعلى قاعدة واسعة من الثورة التي نملكها وتملكها المنطقة.. فإذا كانت الحدود الراهنة الضيقة للدولة تتسبب بكل هذه الحروب والدماء لماذا هذه الحدود؟! ولماذا هذه الدولة؟!. نحن الآن نعيش تخلفاً أشد من السابق، ففي المرحلة الإسلامية لم نكن كما نحن الآن، فمثلاً إذا أصريت على أنك عربي مائة بالمائة وأصر آخر على أنه كردي مائة بالمائة، فإن هذا لن يعطي نتائج جيدة.. إذا لم أعرف سوى الكردية ولم أحب سوى الكردية وغيري لا يحب ولا يعرف سوى العربية، فهذا عبارة عن ضيق أفق كبير. ستكون الكردية ضيقة وستكون العربية ضيقة».

وبالنسبة لموضوع حرية المرأة ومشاركتها في النضال، الذي يخوضه الأكراد، فيُعتبر أوج آلان مبدع في ذلك، حيث صدر له عدد من المؤلفات بهذا الخصوص. وفحوى موقفه أنه مع حرية المرأة ومساواتها الكاملة مع الرجل، ويعتبر أن حزب العمال الكردستاني هو أول حزب كردي استطاع أن يخرج المرأة الكردية من بيتها، لتشارك في الحياة الاجتماعية والثورة، بعد أن كانت لا تخرج منه إلا مرتين: من بيت أبيها إلى بيت الزوجية ومن الأخير إلى القبر: «إن قيمة الحرية في ثورة ما مرتبطة بقيمة حرية المرأة في تلك الثورة، ومستوى الحرية لدى مجتمع ما مرتبط بمستوى حرية المرأة في ذلك المجتمع.. المرأة أكبر من أن تعيش منحطة أو توضع بدلاً عن نباتات الزينة.. أنا أقيّم المرأة التي

لم تستطع اختراق إطار المجتمع الخاضع لسيطرة الرجل، أو لم تحارب في سبيل ذلك على أنها أمةٌ».

كما لم تكن أهداف توجهات وتطلعات أوج آلان كردية بحتة، فهو في سياق عمله للشعب الكردي كان يحفر في ماء الشعب التركي الراكد: «إن انحلال الدولة التركية في الشرق سيفقدها حظ البقاء على قيد الحياة في الغرب». وهو هنا لا يعني تدمير الدولة التركية بالمعنى الفيزيائي للكلمة، وإنما تدمير الأيديولوجيا الكمالية العنصرية، التي استحوذت على الدولة التركية منذ عشرينيات هذا القرن. وقد يؤدي، حسب أوج آلان، تطور الغرب التركي إلى قيام فدراليات جذرية: «فإذا تحولت كردستان الشمالية إلى فدرالية فهناك احتمال أن تتحول الجمهورية التركية إلى كيان فدرالي. ومن هذه الناحية فإن حادثة فدرالية كردستان تعني سلسلة فدراليات تركية، بما في ذلك الجنوب، وكذلك فدرالية القفقان تعني فدرالية جمهوريات آسيا الوسطى، وفدرالية إيران، والفدرالية العربية، والدول العربية الحالية هي قريبة في الأساس من البنية الفدرالية. إن مثل هذه الفدرالية الواسعة التي نتحدث عنها، ستكون لها أبعاد تاريخية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة، وستحافظ على كل هذه الأبعاد وستعمل على تطويرها، بدلاً من الحروب الطاحنة والتخريب وإنهائها لبعضها البعض، بل وسيكون نظاماً لإغناء بعضه الآخر».

أما من حيث أشكال النضال التي آمن بها وطبقها خلال نضاله ضد الدولة التركية، فكانت تمتد من النضال السياسي السلمي وصولاً حتى العمل العصاباتي المسلح. فهو منذ عام 1984 أعلن الكفاح المسلح، وهذا لا يعني أن حزبه لم يمارسه منذ نهاية السبعينيات. وبالنسبة لأسلوب الكفاح المسلح فكان أوج آلان يؤمن بحرب الـ "كاريلا" أي العصابات والكوماندوس، وكان يحذر من اللجوء إلى الحرب الجبهوية، وكان يعتبر ذلك الأسلوب الموائم لمقاتليه، إن كان جغرافياً أو بما يتعلق بطبيعة العدو: «كانت هنالك تعليمات عن كيفية التحول إلى الـ "كاريلا"، خلال المؤتمر الثالث للحزب عام 1986، مما أدى إلى الدخول في استعدادات شاملة، أدت إلى الاقتراب من أسلوب الـ "كاريلا" في عام 1987. وفي عام 1990 أصبح لدينا جيشاً من الـ "كاريلا" الحقيقيين.. وهكذا أصبح بإمكاننا الدخول في الحرب المتحركة بواسطة وحدات الـ "كاريلا" المتحركة، ولكن يجب عدم الدخول في حرب جبهوية تحت أي ظرف كان».

ومن حيث وجهة نظر أوج آلان بالأحزاب الإسلامية التركية كحزب الرفاه وحزب الله فإنه يعتبر أنهما يقفان ضد تحصيل الشعب الكردي لحقوقه المشروعة، وهما لا يختلفان بذلك عن الأحزاب البرجوازية التركية الأخرى، التي تشكل جذرها (حزب الشعب الجمهوري) تحت عباءة أتاتورك، الجذر الذي أخذ ينشطر مشكلاً

جميع هذه الأحزاب المتواجدة اليوم والتي تغذت من نفس التربة: «حزب الله يدعي الإسلام، ولكنه القوة الدنيئة وراء كل جريمة بشعة، والرفاه أخطر قوة قذرة.. والأخير يريد تطوير نموذج من نماذج السلطان عبد الحميد، وتحالف الألمان والسلطان عبد الحميد واضح جداً. فلألمانيا توسع دقيق جداً في العالم الإسلامي، وهي مستمرة في سياستها هذه مع بعض الدول مثل إيران والدول العربية.. وإذا أخذنا في الاعتبار التقارب التركي الألماني فيظهر لدينا أن حزب الرفاه هو المحرك الأيديولوجي لهذه العلاقة، ويرغب في أن يكون العامل الأول لها، ودراسة أرباكان في ألمانيا وعلاقاته المباشرة تشجع على هذا، وانطلاقاً من ذلك فإن ألمانيا - حزب الرفاه ليست أقل من مرحلة عبد الحميد.. وإن الدولة تتعامل مع حزب الله وتمده بالعدة في سبيل مواجهتنا، على الرغم أنه في إطار آخر يشكل خطراً عليها، لكن هذا الخطر لا يصل إلى مقام الخطر الداهم عليها من قبل حزب العمال الكردستاني».

يعتبر أوج آلان أن حزبي الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستانيين، اللذان يعملان على الساحة العراقية، بزعامة كلٍ من مسعود البرزاني وجلال الطالباني، هما حزبانْ لا يزالان يعملان على الطريقة القبلية والعشائرية القديمة، وهما في عملهما لا ينطلقان في سياساتهما من أهداف وأماني الشعب الكردي، بل قَدرا الموازين السياسية المحلية والدولية، وهما أيضاً، لاسيما الأول، عبارة عن أداة

تستخدمها الدولة التركية لمجابهة حزب العمال الكردستاني سياسياً و عسكرياً، منذ حرب الخليج: «ولما بدأت حرب الخليج مدت الدولة التركية يدها إلى البرزاني والطالباني لاستخدامهما في مواجهتنا..حتى أن هذا الأسلوب كان موجوداً لدى الحكومات التركية منذ السبعينات، حينما دخلت في علاقات مع القومية البدائية التي كانت امتداداً للبرزاني..بغية السيطرة على جنوب ووسط كردستان..ووصل الأمر إلى حد استخدام البرزاني لقوات البشمركة ضدنا.. و في مراحل لاحقة جرت حرب مواقع على جبهة كردستان، وخاصة مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي رُدت هجماته على أعقابها..وفي المرحلة الأخيرة، ظهرت أوضاع لم تكن بالحسبان، أشبه بالحصار: هجوم العصابات (البشمركة) من الجنوب وقوات الدولة التركية من الشمال، والهجمات الجوية المكثفة بالحوامات والطائرات الحربية..وأخيراً أخذت الدولة التركية تجند الأكراد العراقيين من أتباع البرزاني والطالباني كحراس قرى، وتتحدث الأخبار عن وصول عدد المتطوعين إلى 7500 شخص من المرتزقة، وهي، أي الحكومة التركية، تدفع رواتب شهرية لهم..والقصد هنا هو تحويل قوة البيشمركة إلى مرتزقة.. وإنهما، أي البارزاني والطالباني، لا يفعلان ذلك، على المدى البعيد، من أجل كردستان الجنوبية أو لأجل التصدي لصدام حسين، بل لأجل الوقوف في وجه حركة التحرر الوطنية الكردستانية.. وإذا

كانت تكاليف هذا الجيش 20 مليون دولار، فإن هذا المبلغ سيدخل جيب البرزاني، ولا شك أن معدة البشمركة ستمتلئ قليلاً.. وفي هذا اليوم يحاول كل من الطالباني والبرزاني التربع على ميراث ومكتسبات حزب العمال الكردستاني ويحصلون على هذه الرواتب من ورائه، بعد أن كانوا يتلقون ذلك من أمريكا سابقاً، والآن يأخذونها من تركيا ومن دول أخرى».

و من حيث رأي أوج الآن بالغرب وسياساته، فيعتبر أن الغرب هو الذي وقف وراء العثمانيين مائتي عام ويقول: «يؤكد التاريخ أن أحد أركان السياسة الإنكليزية هو حماية الإمبراطورية العثمانية، وأكثر من ذلك كان الهدف استخدام العثمانيين ضد القياصرة الروس.. فالقيصر كان يريد النزول نحو المياه الدافئة.. لذلك ليس صحيحاً أن الغرب قد شتت العثمانيين، بل الصحيح أنه حافظ عليهم وجعلهم مصيبة على الشعوب، وتلك الشعوب التي قدمت المساعدة للأوروبيين راحت ضحية الإمبريالية الغربية التي قامت فيما بعد بارتكاب مذابح جماعية بحق هذه الشعوب.. مثلاً الأرمن والإغريق وحتى بداية الثورة العربية، وأكثر من ذلك كان إسقاط مشروع محمد علي باشا.. لقد وصل ابنه إبراهيم باشا إلى تخوم إسطنبول وأوشك على احتلالها عام 1836، ثم وقفت أوروبا بأكملها إلى جانب العثمانيين وأوقفوا انهيار السلطنة.. لو انتصر مشروع محمد علي باشا لكانت سوريا قد بنيت قبل مائة عام

من تاريخ بنائها وكردستان أيضاً كانت سَتبنى، وكنا سندخل مرحلة جديدة.. إن الغرب هو من حال دون ذلك.. وبعد سقوط العثمانيين قام الإنكليز والفرنسيين بتشتيت العرب ووضع الأرضية لتقسيمهم أكثر من السابق، وزرع إسرائيل في قلبهم. ويرى أوج آلان أن أمريكا تكيل بمكيالين بالنسبة للقضية الكردية. فهي مع أكراد العراق وتساعدهم على تحقيق استقلالهم، وضد الاعتراف بالحقوق المشروعة لأكراد تركيا، وتعتبر حزب العمال الكردستاني حزباً إرهابياً، لأن تركيا تقع موقع الحليف بالنسبة لها. وبالنسبة للدول الأوروبية فإن حكوماتها وقفت وتقف موقفاً براغماتياً بالنسبة لقضية الأكراد، أما مؤسساتها المدنية فإنها تعالج القضية الكردية انطلاقاً من مبادئ حقوق الإنسان. فمثلاً ألمانيا ترى أن مصلحتها في عودة الإسلام إلى تركيا ممثلاً بحزب الرفاه، لكي تعيد أمجاد التحالف الألماني - العثماني. واليونان حكومة وشعباً يقف مع الشعب الكردي في نضاله، لأنه يريد أن يكيل الصاع صاعين لتركيا من جراء ما فعلته في اليونان إبان الاحتلال العثماني، وما تفعله اليوم في قبرص: «اليونان دولة غربية، ولكن تناقضاتها مع الأتراك كانت لا يمكن أن تجد حلولاً داخل الناتو ولا تحت النفوذ الأمريكي. فلقد أيقنت أن الشعب اليوناني سوف يكون حليفاً وصديقاً لنا، في الوقت الذي كان بوسعنا أن نكون أصدقاء لهم دون قيد ولا شرط، وبالمقارنة مع تناقضاتهم مع تركيا فإن صداقتنا مع اليونان

ترتفع.. فقد تشتت اليونان نتيجة الضربات التاريخية التي تلقتها من الأتراك وعلى مدى مئات السنين، لقد جردوهم تاريخهم، فالشعب اليوناني هو شعب بحري وواع، وهو شعب الفلسفة والمعرفة».

ويرى أوج آلان أنه «من دون الأكراد لا يمكن أن تسير الاستراتيجية العربية والفارسية وحتى التركية. فللشعب الكردي دور مميز في هذه الاستراتيجيات.. إن ترسيخ أقدام حزب العمال الكردستاني يشكل عامل نهوض في وجه المخططات الإمبريالية الصهيونية. ويعتبر أن الاتفاق الإسرائيلي التركي، الذي تؤيده أمريكا وتدعمه، هو حلف موجه ضد الشعوب الإسلامية والسلاف الروس، ويشمل المناطق الممتدة من البحر الأبيض المتوسط حتى الصين، وفوق ذلك يهدف هذا الحلف إلى إضعاف اليونان، أو جرها إليه من خلال الضغط عليها عن طريق حلف الأطلسي.. ولذلك فإن حربنا ضد تركيا هي حرب ضد إسرائيل وأمريكا". أما فيما يتعلق بجزء الاتفاقية، بين تركيا وإسرائيل، الذي يتعلق بالأكراد، فيستشهد أوج آلان بقول لرئيس الدولة الإسرائيلي، هيرتزوغ، قاله في أحد الاجتماعات الرسمية بين البلدين: "نحن سنسكت وسنوافق بما تقومون به ضد الأكراد على أن تسكتوا وتوافقوا أنتم على ما نفعله بالفلسطينيين والعرب». ويتهم أوج آلان إسرائيل بأنها قامت بنقل خبراتها إلى تركيا في إنشاء شريط حدودي في كردستان العراق بعمق 20 كم وطول 300 كم، سينتشر فيها قرابة مائة مخفر عسكري.

ومن حيث علاقة عبد الله أوج آلان وحزب العمال الكردستاني بسورية، فإنه يرى أن «الغرب وأمريكا يريدان حلحلة العقدة السورية تحت شعار محاربة الإرهاب.. إن الثورة العربية ما زالت تسير من خلال سوريا، ولسوريا أهداف كبيرة يجدر التوقف عندها.. إن الحرب بين سوريا وإسرائيل سوف تنتقل من شكل إلى آخر. إن غالبية الشعب الكردي في سوريا قد نزحت من كردستان الشمالية.. البعض يروج لمقولة كردستان سوريا، إلا أننا لا نعتقد أن هنالك معضلة حقيقية في هذا الموضوع.. إن هذا الطرح ليس موضوعياً، وهو ليس مفهوماً دقيقاً، فالتسمية الأصح هو أن نقول عنهم. الأكراد السوريين، فهؤلاء كانوا قد فروا من ظلم واستبداد العثمانيين والجمهوريات التركية، نتيجة مشاركتهم في الانتفاضات التي اندلعت في كردستان.. لقد قمت ببعض الأبحاث واكتشفت بأن غالبيتهم ينحدرون من كردستان الشمالية، منهم من جاء منذ مائة عام ومنهم من جاء منذ مائتي عام.. لقد أتى الأرمن والشركس أيضاً، وحتى عرب اللاذقية أتوا من انطاكيا. إن نظرة هؤلاء ليست علمية ولا دقيقة، فليس هنالك مجال لتأسيس دولة كردية في سوريا، ولا يمكن إقامة دولة في منطقة عفرين مثلاً.. وفي الأساس فإن مشاكل سوريا ليست مع الأكراد، وإنما مع الأتراك. وحسب رأيي فإن كثيراً من جوانب المسألة الكردية سوف تحل من خلال سوريا، فإذا قامت أي دولة كردية، فالفدرالية الأكبر

سوف تبنى، قبل أي شيء، في الجزء الأكبر من تركيا.. عندها فإن الأخطار القادمة من تركيا باتجاه سوريا سوف تتوقف، وهي بالفعل أخطار تاريخية، فالرومان أتوا من الأناضول والبيزنطيون كذلك، والعثمانيون أتوا منها، والصهيونية من مواليد الأناضول. إن الذي ينظر إلى كردستان، سوف يراها تشكل ترساً لحماية ظهر سوريا من الشمال.. مَن وضع الأكراد في يده تسبب دائماً في إسقاط سوريا، منذ أربعمائة عام كان الأكراد في يد العثمانيين وتسببوا في سقوط سوريا، وإذا وقعوا الآن في يد تركيا ثانية فإنهم سيتسببون بهذا مرة أخرى.. وإذا أرادت سوريا حماية حدودها الشمالية الممتدة على طول 800 كيلومتراً من الناحية التاريخية والاستراتيجية يجب أن تبلور رأياً لها بصدد المسألة الكردية، لأن انتصار الأكراد على هذه الحدود هو الخط الدفاعي الأكبر لحماية سوريا، ويقف بوجه المخاطر القادمة من الأناضول. أما بالنسبة لحجم أكراد سوريا فإنهم يشكلون أقل من 5٪ من الأكراد بشكل عام وقد جاؤوا من الشمال، كما ذكرنا، منذ الأيوبيين وحتى الآن. لذلك أقول أنهم إذا كانوا يريدون دولة لهم فليتجهوا نحو الشمال. ونحن نرى في سوريا حليفاً استراتيجياً، وسوف نقوم بتقوية هذا المفهوم وتمتينه».

أما وجهة نظره بعملية السلام السورية ـ الإسرائيلية، فهو يعتبر أن هذا السلام إذا ما حدث، فسوف يساهم في التخفيف من حدة

تناقضات الطرفين، وعندها لن تكون إسرائيل بحاجة ماسة إلى تركيا، الأمر الذي يجعل سوريا أكثر قدرة على مواجهة تركيا. وهذا ينطبق أيضاً على أمريكا. فإذا ما تراجع الدور التركي في الاستراتيجية الإسرائيلية، فسوف يتراجع عملياً عند أمريكا، الأمر الذي يشكل رعباً حقيقياً عند الأتراك.

الفصل الرابع

التاريخ النضالي لحزب العمال الكردستاني

في عام 1973 خرج أوج آلان مع مجموعة من الشباب الأكراد، خارج أنقرة، واتفقوا على تأسيس مجموعة كردستانية، وكان الاجتماع الذي تقرر فيه ذلك تحت شجرة. ولم تكن هذه المجموعة سياسية بالمعنى التقني للكلمة، بل كان هدفها تعريف الرأي العام بحقائق القضية الكردية. أطلقوا على هذه الجمعية اسم: "الجمعية الديمقراطية لطلاب الجامعة"، وكانت هذه الجمعية أرضية للانطلاق نحو ما هو أوسع من حدود الجامعة. وما أن جاء عام 1975، حتى أصبح باستطاعة هذه الجمعية تحريك الجامعة. وأصبح لأوج آلان جماعة خاصة ضمن هذه المجموعة. وفي مستهل عام 1976 صدر ما يسمى عندهم بالمانيفستو، الذي شكل الإطار النظري لحزبه اللاحق، والذي لا يزال سائداً حتى اليوم، وكان يدعو إلى ثورة قومية ديمقراطية ضد الإمبريالية، والأكثر ضد الكمالية التركية. وفي ذات العام تمت طباعة دستور الحركة. وفي الأعوام 1976 و1977 و1978، قامت هذه الحركة ببعض العمليات ضد الفاشيين الأتراك وضد الآغوات الأكراد المتواطئين معهم، وضد بعض البنوك والمصالح الحكومية والمنشآت العسكرية. ويمكن القول أن الحركة اعتمدت في أعمالها العسكرية في البداية على الأعمال الفردية وحركة الفعل ورد الفعل.

في تشرين الأول 1978، عُقد أول اجتماع باسم الحزب، وفي بداية عام 1980، تم الإعلان عن اسم الحزب الذي يتزعمه أوج آلان: "حزب العمال الكردستاني - P.K.K."، وتشكلت أيضاً مجموعاته، وأصبح لزاماً اللجوء إلى الجبال. ومنذ تلك اللحظة أخذ الحزب يكتسب مشروعيته من الشعب الذي قام من أجله، وليس من الخارج ـ القوى المحلية أو الدولية الداعمة.

تلخصت أهداف حزب العمال الكردستاني في المرحلة الأولى بإقامة دولة كردية في جنوب شرق تركيا، تُمهد لقيام "كردستان الكبرى الموحدة"، التي تظم أكراد تركيا وسوريا والعراق وإيران.

وفي هذا العام بالذات بدأت رحلة عبد الله أوج آلان في الشتات، حيث كانت أجهزة الأمن التركية تراقبه بعناية شديدة، وقاب قوسين أو أدنى من اتخاذ قرار تصفيته جسدياً. واصطحب معه في هذه الرحلة عدداً كبيراً من رفاقه، هذه الرحلة التي أطلق عليها "النزوح الأول"، التي كان لابد منها، ذلك لأن عود الحركة كان طرياً، الأمر الذي كان يتطلب إعداد كوادر ومقاتلين وتوجيههم إلى الجبال حيث الوطن. وفي عام 1980 تم إرسال أول دفعة من المقاتلين بلغ عددهم (30-35) مقاتلاً. وتتالى بعد ذلك إرسال المجموعات، بعد تخرجها من دوراتها التدريبية. هذا ويجدر القول أن لهذا الحزب جناح سياسي هو: "جبهة

تحرير كردستان"، وجناح عسكري: هو " الجيش الشعبي لتحرير كردستان.

وقبيل الحرب التي شنتها إسرائيل ضد لبنان، أصبح لحزب العمال الكردستاني معسكراته الخاصة في لبنان، الأمر الذي مكنه من مشاركة القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية والقوات السورية في التصدي للعدو الإسرائيلي. ويقول "آبو" بهذا الصدد: "قدمنا إلى ساحات الشرق الأوسط منذ عام 1980، وبالفعل تخندقنا في موقع واحد مع الحركة الثورية التحررية العربية الفلسطينية واللبنانية ومع سوريا، وأستطيع القول أننا نواصل النضال مع هؤلاء منذ 17 عاماً.. إن المقاومة الأكثر بسالة في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، قام بها مقاتلو حزب العمال الكردستاني في قلعة شقيف.. هناك قاومنا حيث تراجعت قوات عرفات.. وبعد أن أبدا رفاقنا مقاومة بطولية استشهد لنا 11 مقاتلاً.. وبعد احتلال قلعة شقيف جاء مناحيم بيغن شخصياً ليتعرف على حجم المقاومة.. وأقول أن قرار إعلان الحرب كان قراراً إسرائيلياً تركياً، سيما أن 300 من رفاقنا كانوا مشاركين فيها." ويجدر بالذكر هنا أن إسرائيل كانت قد قامت بتسليم الأتراك ممَن أسرتهم من عناصر حزب العمال الكردستاني بالإضافة إلى جميع الوثائق التي استولت عليها من معسكراته، بعد احتلالها.

وفي نهاية عام 1982 انعقد المؤتمر الثاني لحزب العمال الكردستاني، بُحثت فيه قضية العودة إلى أرض الوطن. وفي عام 1983 أصبح هنالك المئات من المقاتلين منتشرين في جبال كردستان تركيا. وقبيل الإعلان الرسمي عن مباشرة الكفاح المسلح، الذي صدر في العام 1984، قام الحزب باتخاذ كافة الإجراءات والتدابير الايديولوجية لهذا الغرض. وأصبح العام 1984 عام المفاجأة بالنسبة للسلطات التركية، فحسب أحد مسؤوليها العسكريين: «لقد فوجئنا بقفزة كهذه، ولم نكن نتوقع بأن حزب العمال الكردستاني سيقوم بمثل هذه الخطوة».

وكان أوج آلان أثناء صراعه مع السلطات التركية يقدم أحياناً بعض التنازلات، منها إعلانه ثلاث مرات لوقف إطلاق النار من جانب واحد (1993، 1995، 1998). وكانت أكثرها شهرة هو وقف إطلاق النار الذي أعلنه عام 1993، الذي توسط في الحصول عليه جلال الطالباني زعيم حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، الذي يروي ما جرى على الشكل التالي:

«لعبت عام 1993 دور وساطة بين الرئيس التركي أوزال وبين الزعيم الكردي عبد الله أوج آلان، من أجل الوصول إلى حل سياسي للمسألة الكردية في تركيا». ويذكر في هذا الصدد أن ديميريل كان مكلفاً في ذلك الوقت، وفي عهد الرئيس أوزال بتشكيل الحكومة، وأن ديميريل استدعى الطالباني لزيارته في منزله، وسأله عن رأيه في القضية

الكردية، لأنه يعد من جانبه مشروعاً يعترف بالشخصية الكردية مع إعطاء الأكراد بعض الحقوق.

يقول الطالباني: «قلت لديميريل هذا شيء جيد بالنسبة لكم وللأكراد. ثم سألني عن تأثيري على عبد الله أوج آلان فأجبته أنه يسمع مني، وسيوقف القتال، وسيعطيكم مهلة للعمل، وأعتقد أن الحل السياسي هو الطريق الأفضل للجميع، لأن هذا العصر هو عصر الحوار. وقد زرت بعد ذلك الرئيس تورغوت أوزال وأخبرته أنني سأزور سورية وسألتقي أوج آلان، فهل عندكم رسالة له؟ قال أوزال: لو تنصح هذا المجنون ـ كما كان يسميه ـ بإعطائنا فرصة لحل سياسي». وبعدها بالفعل تمكن جلال الطالباني من الحصول على موافقة أوج آلان لوقف إطلاق النار لمدة 22 يوماً. وعندما عاد الطالباني إلى تركيا استقبل بالأحضان (حسب كلامه)، وقال له ديميريل: نحن لا نتفاوض مع الإرهابيين لكننا نرحب بهذه الخطوة الإيجابية. وهنأه أوزال على ذلك وطلب منه أن يحاول مع أوج آلان تمديد فترة وقف إطلاق النار، ليتيح له فرصة لإقناع العسكريين بحل سياسي. ولكن هذه الهدنة انتهت بحادث أقدم عليه شمدين صاقيق* (رئيس الجناح العسكري السابق

*إختطفته السلطات التركية من شمال العراق وأخضعته للمحاكمة، بتهمة التخريب والخيانة العظمى، وحكمت عليه بالإعدام. إلا أن هذا الحكم لم يُنفذ بعد. ويُظن أن سبب صدور هذا الحكم هو في تقديم سابقة، من أجل محاكمة أوج آلان، وإصدار ذات الحكم عليه. لأنه يُصبح الحكم بالإعدام على الأخير مبرراً، بسبب أنه قد تم الحكم سابقاً على من هو أدنى منه مرتبةً في حزب العمال الكردستاني بالإعدام أيضاً.

لحزب العمال الكردستاني في منطقة ديارّبكر)، راح ضحيته 33 جندياً تركياً كانوا عائدين من إجازاتهم. وحينها لم يصدر عبد الله أوج آلان أي تصريح بإدانة هذه العملية، تخوفاً من أن يحسب ذلك على أنه انشقاق حصل في حزبه.

منذ عام 1992، انتهك الجيش التركي الحدود العراقية 313 مرة، جميعها أتت لملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني: 50 عملية برية، 225 طلعة طيران وقصفً جوي، و38 قصف مدفعي. وأكثر هذه العمليات حشداً في مواجهة هذا الحزب، إن كان في كردستان تركيا أو في كردستان العراق، كانت التالية:

ـ في شهر شباط/فبراير 1992: تحركت القوات التركية بأعداد كبيرة وطوقت جميع المناطق التي يقطنها الأكراد في جنوب شرق الأناضول، وأسفرت المواجهات الدامية إلى سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى بين الطرفين.

ـ في آيار/مايو 1995: اخترق الحدود العراقية 35 ألف جندي، في عملية برية جوية، وصلت إلى عمق 200 كم، داخل الأراضي العراقية.

ـ في أيار/مايو 1996: اخترقت فرقة من 1200 جندي تركي، تدعمهم الدبابات وطائرات الهيليوكوبتر الحدود العراقية، وقتلت 15 من رجال حزب العمال الكردستاني.

- في أيار/مايو 1997: دفعت أنقرة بـ 50 ألف جندي من مختلف صنوف القوات المسلحة، إلى شمال العراق، واستمرت بهذه الحملة 5 أيام، مشطت فيها منطقة واسعة، بعد أن أفرغت المنطقة من وسائل الإعلام. وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوات مسعود بارزاني، المنتشرة في تلك المنطقة، قد ساعدت القوات التركية في عمليتها هذه. وكما صاحب هذه القوات مستشارون من جيش إسرائيل مع تجهيزات إلكترونية حديثة. وبعد انتهاء هذه العملية قام وفد عسكري إسرائيلي بزيارة تفقدية للقواعد العسكرية لحزب العمال الكردستاني التي دمرتها القوات التركية في هجومها هذا. وقام هذا الوفد بعملية مسح جوي لمنطقة الحدود التركية العراقية في إطار التعاون المشترك لإنشاء منطقة أمنية تمنع هجمات الثوار الأكراد.

- في تشرين الثاني/نوفمبر 1997: اجتاح الجيش التركي شمال العراق بـ 120 دبابة وعربة مدرعة، تساندها الطائرات، ودخل مدينتي زاخو ودهوك.

- في نهاية نيسان/إبريل 1998: شنت تركيا حملة واسعة على جنوب شرق تركيا، اشترك فيها زهاء 40 ألف جندي، وذلك لمحاصرة مقاتلي حزب العمال الكردستاني، وجرت العملية في منطقة وعرة مساحتها حوالي 16 ألف كم مربع، وتعتبر هذه العملية الأكبر من نوعها منذ 14 عاماً، وساهم في قيادتها 14 جنرالاً.

- في 20 تشرين الثاني /نوفمبر 1998: أخذ 30 ألف جندي تركي يطاردون مسلحي حزب العمال الكردستاني في جبال جنوب شرق الأناضول.

ومن الأحداث الهامة التي جرت لحزب العمال الكردستاني والتي كان لها أبعاداً تركية وعالمية هي:

- فرار شمدين صاقيق: «اسمه الحركي: زكي برماغسن، والصفة ككلمة تركية تعني "عديم الأصبع"». هو من أبرز القادة الميدانيين لحزب العمال الكردستاني في الأراضي التركية، إن لم يكن أبرزهم. واشتهر بعملياته الجريئة وقدرته على النجاة، مراراً وتكراراً، من المطاردة وحتى التطويق. وظل طوال سنوات خنجراً في خاصرة القوات التركية. ولجأ في أواخر آذار/ مارس 1998 مع شقيقه إلى كردستان العراق، في معسكرات البارزاني، حيث لاحقاً تم اختطافه من قبل السلطات العسكرية التركية، بواسطة عملية مدبرة. وكان من بين ما أوضحه شمدين، خلال الفترة القصيرة التي أمضاها لاجئاً عند البارزاني، أن أحد أبرز أسباب الخلافات بينه وبين أوج آلان، أن الأخير يدير الثورة بواسطة "الريموت كونترول"، من مقره النائي، دون أية معرفة بما يجري بالفعل على أرض كردستان تركيا، التي لم تطأها قدما أوج آلان منذ غادرها قبل عشرين عاماً. إلا أن الجهات الرسمية في حزب العمال الكردستاني وعبد الله أوج آلان ذاته، يعتبرون أن شمدين صاقيق

عميلاً للمخابرات التركية، كان قد اندس إلى صفوف الحزب، وفر منه بعد أن أنهى كل ما خُطط له. ويشهد على ذلك (حسبهم) هي العملية التي نفذها شمدين في عام 1993، بعد أن أعلن أوج آلان وقفاً لإطلاق النار من جانب واحد تمهيداً لحل سياسي، كان أوزال يناقشه مع مجلس الأمن القومي. ويعتبرون أن شمدين صاقيق بذلك كان قد نفذ أوامر المؤسسة العسكرية التركية، التي هيأت له الظروف المناسبة لتنفيذ تلك العملية، التي أدت إلى تخريب مجريات الحل السلمي. ويقول أوج آلان بهذا الصدد أن أجهزة المخابرات الفرنسية أبلغته أن كمية كبيرة من الأموال كانت تُنقل إلى اسم شمدين منذ عام 1993. وأضاف أوج آلان أنه اكتشف منذ العام 1993.أن شمدين صاقيق يحاول فرض النهج الاستسلامي على الحزب، لذلك كان يستخدمه لتسريب (معلومات مضللة) إلى الجيش التركي. ويذكر أحد القياديين في حزب العمال الكردستاني أن "شمدين" كان قد خضع لعملية استجواب في محكمة عقدها لهو الحزب، بعد أن كان قد جُرد من عضويته في عام 1996. وثمة هنالك معلومات تربط بين قضية "شمدين" و مقتل الرئيس التركي تورغوت اوزال. وقبل فرار "شمدين" كان أوج آلان قد صرح بأن هنالك مخربين داخل الحزب وبأنه (سيعمل على الكشف عنهم بشكل مبكر وتصفيتهم). وقال أوج آلان لاحقاً أنه في تلك الفترة (استغرب تدخل أوساط صديقة بطلب من دولة كبيرة، جاء

فيه عدم تصفية "شمدين"). ليُضيف أن المعلومات التي توفرت لديه تُشير إلى أن الموساد والولايات المتحدة عملا على التنسيق مع "شمدين" في كردستان العراق، ليصنعا منه القائد "صفر"، كما حدث في نيكاراغوا، لكن بعض الأوساط في تركيا اعتبرت أن هذا الأمر خطير على الدولة التركية، لذا أقدمت على إعادته إلى تركيا.

- اتهم عبد الله أوج آلان وحزب العمال الكردستاني في عام 1986 باغتيال أولف بالمه رئيس وزراء السويد. وعللت هذه الأوساط اتهاماتها، كون دولة السويد قد منحت جوازاً لـ (كسيرة)، زوجة أو عشيقة أوج آلان السابقة. وكانت كسيرة قد تركت الحزب مع بعض من رفاقها بعد أحد مؤتمرات الحزب. أما أوج آلان فإنه ينكر هذه التهمة ويعزي عملية الاغتيال إلى مسؤولين سابقين في الحزب (مسؤول أوروبا، ومسؤول العلاقات الخارجية)، اللذان طردا لاحقاً من الحزب، بعد أن أتهما بالتواطؤ مع أجهزة الأمن التركية.

الفصل الخامس

الأزمة الأخيرة لأوج آلان

هـذا وكـانـت رحلـة عبـد الله أوج آلان، منـذ مغادرتـه الشـرق الأوسـط، في شـهر تشـرين الأول/اوكتوبـر 1998، قـد عـبرت المحطـات التـالية:

1 - 19 تشرين الأول/اوكتوبر 1998، غـادر أوج آلان مقـر إقامتـه في الشرق الأوسط.

2 — 20 تشـرين الأول/اوكتوبـر 1998، أعلنـت تركيـا أن أوج آلان موجود في روسيا.

- 5 تشرين الثـاني/نوفمبر 1998، نفت روسيا وجود أوج آلان على أراضيها، وأكدت، على لسان وزير داخليتها، أنها لن تمنحه حق اللجوء السياسي، بالرغم من دعوة البرلمان الروسي إلى ذلك.

3 - في 12 تشرين الثـاني/نوفمبر 1998، أعتقل في مطـار رومـا، الـتي وصلها، قادماً من موسكو، بجواز سفر مزور. وعلى الفور طالبت تركيا إيطاليا تسليمها أوج آلان. وبعد حرب كلاميـة بين السلطات التركيـة والإيطاليـة، نقضـت محكمـة اسـتئناف إيطاليـة في مدينـة روا، في 20 تشرين الثاني/نوفمبر أمر اعتقال دولي، كانت قد أصدرته أنقرة، لكنها قالت أن أوج آلان يجب أن يبقى في إيطاليا بسبب أمر اعتقال ألماني.

لكن ألمانيا أعلنت لاحقاً أنها لن تقوم بطلبه في الوقت الحاضر، وذلك خشية وقوع اضطرابات بين الأتراك والأكراد في ألمانيا. حسب التصريح الذي أدلى به المستشار الألماني غيرهارد شرودر، بعد اجتماع له مع رئيس الوزراء الإيطالي ماسيمو داليما في 27 تشرين الثاني/نوفمبر.

- في 18 تشرين الثاني وجه أوجَ آلان رسالة إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني ناشده فيها بالتدخل لحل المسألة الكردية.* :

- في 28 تشرين الثاني/نوفمبر1998، رفضت محكمة في روما مذكرة تركية لتسليمه لأنقرة.

هذا وكانت الحكومة الإيطالية قد وضعت الشروط التالية للحكومة التركية لتسليمها عبد الله أوج آلان:

أ. إطلاق سراح البرلمانيين الأكراد، وعدد من المسؤولين المحليين الذين اعتقلوا استناداً لقانون مكافحة الإرهاب.

ب. التخلي عن قوانين مكافحة الإرهاب.

ج. إصدار عفو عام عن مقاتلي حزب العمال الكردستاني.

د. الالتزام بمواثيق حقوق الإنسان.

هـ. السماح للأحزاب الكردية بالعمل بحرية على الساحة التركية.

---

* أنظر الملحق رقم (2).

وفي هذه الأثناء بدا على أوج آلان اليأس من أوروبا التي لم تجرؤ دولة واحدة من دولها على منحه حق اللجوء السياسي، أولئك الأوروبيون الذين يتشدقون بحقوق الإنسان والحرية والديمقراطية: وفي البيت الذي أنزلوه فيه في روما، صرح للصحفيين قائلاً: «إن حزب العمال الكردستاني طالب بفتح حوار سياسي بإشراف مراقبين من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي. كما أني أعارض الإرهاب ، وأبديت استعدادي للمثول أمام محكمة لإثبات أنني لست إرهابياً، وإنما أنا وشعبي ضحية الإرهاب. ويكفي إنكار تركيا وجود مشكلة كردية للتأكد بأننا ضحايا.. أنا ضد الإرهاب حتى لو صدر من حزب العمال الكردستاني نفسه. كنت قد تقدمت باقتراح على الاتحاد الأوروبي لحل المشكلة الكردية، من ست نقاط، هي:

1. وقف العمليات العسكرية ضد القرى الكردية.

2. عودة اللاجئين الأكراد إلى قراهم.

3. تحقيق حكم ذاتي للمنطقة الكردية، بدون المساس بوحدة وسلامة الأراضي التركية.

4. الاعتراف بحق الأكراد بجميع الحريات الديمقراطية، التي يتمتع بها المواطنون الأتراك.

5. الاعتراف بالهوية واللغة والثقافة الكردية.

6. إقرار التعددية والحريات الدينية.

ولكن الأتراك يُصرون على عدم وجود مشكلة كردية. ولا أستطيع أن أقول أنه لا وجود لأخطاء في عملنا السياسي والعسكري، فهذا وارد في عمل مُعقد كعملنا». أما بشأن الرحيل إلى شمال العراق والعيش مع قوات حزب العمال الكردستاني المتواجدة هناك، فقد قال: "لن يكون ذلك خياراً موفقاً لقضية الشعب الكردي في الوقت الحاضر. فهذه القضية بدأت تعيد إحياء نفسها وتتفاعل مع الضمير الأوروبي والعالمي. والمعروف أن هنالك وجهات نظر متقاربة تماماً لجميع دول المجموعة الأوروبية وهي وحدها القادرة، حسب اعتقادي، على مساعدة الأكراد لإقامة مؤتمر دولي لقضيتهم العادلة من خلال الضغط على تركيا. وتابع قائلاً: «ويجب أن لا ننسى أن الفاشية هي واحدة ولا يُمكن ائتمانها. وأمامنا في هذا المجال تجارب رفاقنا المريرة في الحزب الشيوعي العراقي.. لكن الديمقراطيات الحقيقية التي ستبنيها هذه الشعوب في المستقبل، هي التي ستكون السند الحقيقي لقضية شعبنا الكردي». أما عن الاستسلام، فرد قائلاً: «الاستسلام موت لأني لا أستطيع أن أبتعد عن الناس، لأن في ابتعادي عنهم موتي، ولا أجد نفسي إلا في كفاحي من أجل غدٍ أفضل». أما بشأن أوروبا فعاد وقال: «منحت فرنسا حق اللجوء السياسي لجماعة الألوية الحمراء، رغم أن إيطاليا اعتبرتهم إرهابيين. وإيطاليا منحت هذا الحق لبعض المتطرفين الألمان، في بداية السبعينات والثمانينات». وتساءل: «لماذا لم تمنحني

الدولة الإيطالية هذا الحق ولا تزال تماطل به؟ لننتظر ونرى، مع أنني أشعر باليأس».

ومن مقر إقامته المؤقتة في روما، أرسل أوج آلان إشارات إيجابية إلى واشنطن*، يُطالب فيها بضرورة تطبيق الدولة الفيدرالية في كردستان العراق على دولة فيدرالية في كردستان تركيا.

وهكذا مع الانتقال من فكرة المقاومة المسلحة إلى الحلول السلمية، كان أوج آلان يُحاول إقناع زعماء أوروبا بمسؤولياتهم التاريخية، تُجاه إحياء "معاهدة سيفر" ومراجعة نصوص معاهدة "لوزان"، التي ألغت أربعة شعوب: اليونانيين والأرمن والآشوريين والأكراد. وفي وقت لاحقاً حاول أوج آلان الانتقال إلى هولندا، ليصبح قريباً من محكمة العدل الدولية في لاهاي.

وفي معرض إجابته عن سؤال حول مدى ثقته بالمؤسسة العسكرية التركية في تحقيق حكم ذاتي للأكراد، قال أوج آلان: «نحن مع الأمل ومع إمكان ظهور جنرال تركي على وزن وفكر ووعي الجنرال الفرنسي شارل ديغول، الذي اعترف بحقوق الشعب الجزائري وحريته واستقلاله.. إذن ننتظر "ديغول تركي". وللأسف أقول أن كل الحكومات المتعاقبة على دفة الحكم التركي، من يمين إلى وسط إلى ما

* أنظر الملحق رقم (3).

يطلق عليه يسار أوروبي إلى حكم إسلامي، لم تعترف بحقوق الشعب الكردي».

4 - في 16 كانون الثاني/يناير 1999، أعلنت السلطات الإيطالية أن أوج آلان غادرها. وبدأت التكهنات بشأن وجوده في روسيا أو جمهورية سوفيتية سابقة.وكان أوج آلان عشية مغادرته إيطاليا قد أعرب عن تأييده لحل للمشكلة الكردية "ضمن الحدود القائمة". وقال أوج آلان في مقابلة صحفية مع مجلة "نوفيل دارميني" الباريسية: «خلافاً للأفكار الشائعة فإن حزب العمال الكردستاني لم يطالب بدولة كردية مستقلة ... حزب العمال مستعد لإيجاد حل ديمقراطي مع احترام الثقافات القائمة ضمن الحدود الموجودة». وأضاف أن «الهدف الرئيسي هو التخلي عن قمع الشعوب وتطبيق ديمقراطية صلبة. وفيما توفرت هذه الشروط فمن الأسهل إيجاد حلول تتراوح بين حكم ذاتي إقليمي إلى إقامة كونفدرالية». وتابع «ثمة أمثلة عديدة على ذلك في العالم.. فهذه كانت الحال ولا تزال بين شعوب دول البلقان والقفقان وانطلاقاً من هذه الأمثلة فإن من مصلحة الجميع اختيار حل يقوم على السلام. وإننا نعارض الحل العسكري، الذي لن يساهم إلا في نسف العلاقات بين الشعوب. ونعتقد أن هنالك إمكانية حقيقية للتوصل إلى حلٍ ديمقراطي».

5 ـ في 1 شباط/فبراير 1999، رفضت هولندا السماح له بدخول أراضيها. وأعلنت أنقرة أن سويسرا رفضت أيضاً السماح لطائرته بالهبوط فيها. وسُمح للطائرة بالتزود بالوقود في مطار ميلانو.

6 ـ في 2 شباط/فبراير 1999، نفت اليونان ما تردد عن وجود أوج آلان على متن طائرة مجهولة في كورفو.

7 ـ في 15 شباط/فبراير 1999، غادر أوج آلان مقر السفارة اليونانية في نيروبي واعتقلته السلطات الكينية.

8 ـ 16 شباط/فبراير 1999، وصل أوج آلان إلى تركيا، حيث يواجه القضاء بتهمة الإرهاب. وعندما كان أوج آلان ضيفاً لدى أفراد القوات الخاصة التركية في الطائرة التي أقلته إلى أنقرة، خاطبه أحدهم قائلاً: "أهلاً بك في وطنك". فأجابه أوج آلان بتجهمٍ قائلاً: «شكراً، أنا أحب تركيا بحق وأحب الشعب التركي».

بعد وصول الطائرة التي تحمل أوج آلان إلى تركيا، وصف الرئيس التركي سليمان ديميريل اعتقال أنقرة لزعيم حزب العمال الكردستاني بأنه "أكبر حدث" في بلاده منذ تأسيس الجمهورية التركية قبل 75 عاماً. ودعا ديميريل إلى المصادقة على "قانون للتوبة" لتشجيع عناصر حزب العمال على الخروج من الجبال والاستسلام قبل حلول الربيع. إلى ذلك نقلت صحيفة "حرييت" عن بولند أجاويد، رئيس الوزراء التركي، أن قرار إحضار أوج آلان إلى تركيا اتخذ بتاريخ 4 شباط/ فبراير 1999، في

مكتب رئيس الجمهورية، ولم يعلم به سوى عشرة مسؤولين أتراك، هم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس الأركان وقائد قوات الجندرمة ومعاون رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ورئيس الاستخبارات (ميت) ومعاون مستشار الاستخبارات وقائد العمليات العسكرية ومستشار الخارجية.

هذا وقد علم من محكمة أمن الدولة التركية أن محاكمة كارلوس ستتخذ نموذجاً يحتذى في محاكمة أوج آلان.

في هذه الأثناء صرحت الأوساط القضائية التركية أن زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوج آلان المعتقل حالياً في تركيا سيحاكم بتهمة تقسيم البلاد، بموجب المادة 125 من قانون العقوبات التركي الذي ينص على توقيع عقوبة الإعدام على مرتكبي هذه الجريمة. وتعاقب المادة 125 على الجرائم الرامية إلى تقسيم الأراضي التركية وإنشاء دولة مستقلة عليها. وهي تنص على عقوبة الإعدام، مع العلم أنها لم تُطبق منذ العام 1984. هذا وكانت نيابة محكمة أمن الدولة التركية قد بدأت في أنقرة في تشرين الأول/ أوكتوبر 1997، بدأت إجراءات قضائية ضد عبد الله أوج آلان، تُطالب بإنزال عقوبة الإعدام بالمتهم بموجب هذه المادة. وقالت أنقرة أن هذه الإجراءات تستند إلى حديث للزعيم الكردي عبر تلفزيون (ميد. تي.في.)، الموالي للأكراد، الذي يبث انطلاقاً من أوروبا ويموله حزب العمال الكردستاني. كما صرح مسؤولو القضاء

التركي أيضاً أنه ستوجه إلى عبد الله أوج آلان تهمة التهرب من الخدمة الإلزامية.

بعد شيوع نبأ اعتقال أوج آلان، هدد حزب العمال الكردستاني بتكثيف الحرب ضد تركيا وتوسيعها، وهاجم الولايات المتحدة وإسرائيل* وألمانيا وروسيا وإيطاليا واليونان خصوصاً. وحذر بيان أصدره الحزب، في 17 شباط/فبراير 1999، المسؤولين الأتراك بأن «أياً منهم لن يخلد للراحة في منزله، وسترون ذلك قريباً جداً». وأكد أن «دعم رئيسنا يعني بالنسبة لنا تكثيف الحرب والكفاح». ودعا إلى محاكمة أوج آلان على يد محكمة دولية ومنصفة «لأن الدولة التركية ليس لها الحق أن تُحاسب رئيسنا ولا شعبنا». وناشد «جميع القوى الديمقراطية ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان الاحتجاج على إبادة الشعب الكردي».

* ويعتقد أن إسرائيل ظلت طوال الفترة الممتدة من عام 1984 إلى عام 1996 تتهرب من التعاون الفاعل مع تركيا ضد حزب العمال الكردستاني، نتيجة استراتيجيتها القديمة جداً، التي كان هدفها كسب ثقة الأكراد عموماً، وأكراد العراق خصوصاً، والظهور بمظهر الدولة الحامية للأقليات المضطهدة في الشرق الأوسط. ويصعب العثور على سابقة لدى المسؤولين الإسرائيليين تدين حزب العمال الكردستاني أو تحركه المسلح في جنوب شرق تركيا. لذلك يجب النظر إلى التعاون في خطف أوج آلان بصورة معمقة، لأن هذا ينطوي على خلاف جذري للاستراتيجية الإسرائيلية إزاء الأكراد، الأمر الذي لا يمكن فهمه إلا في ضوء احتمال أن يكون تعبيراً عن تطور بارز في التحالف التركي – الإسرائيلي وجزءاً من اتفاق قد يشمل تقديم تركيا تسهيلات لإسرائيل لتنفيذ عمليات كبيرة في الشرق الأوسط.

وفي نيروبي عاصمة كينيا، أفادت المصادر هناك أن وكالة المخابرات الأمريكية (سي.آي.ايه) ونظيرتها الإسرائيلية (الموساد)، كانتا ضالعتين في عملية اعتقال عبد الله أوج آلان. وكشفت هذه المصادر أن الأمريكان أبلغوا السلطات الكينية بوجود أوج آلان في نيروبي وأن الإسرائيليين كانوا على علم بذلك. هذا وتجدر الإشارة إلى أن كل من (الموساد) والـ(سي.آيَ.ايه) تتمتعان بوجود قوي في نيروبي، التي اتخذت مركزاً لهما في إفريقيا، بعد حادثة تفجير السفارة الأمريكية مؤخراً هناك. هذا وقد اعترفت الحكومة الأمريكية، على لسان مسؤوليها (حسب نيويورك تايمز) بأنها لعبت دوراً أساسياً في مساعدة الأتراك على اعتقال عبد الله أوج آلان.

وكانت نوجان ديريا البالغة من العمر 23 عاماً والتي كانت تعمل مترجمة فورية لأوجلان من آخر من شاهدوه قبل أن يعتقله عملاء أتراك قاموا بتهريبه إلى تركيا حيث يحتجز بتهمة الخيانة العظمى. وقالت أنه على رغم شكوك أوج آلان فإنه غادر السفارة مساء الاثنين بعد تحذيرات غير مباشرة من كينيا معتقداً أن لديه ضمانات يونانية بتأمين طريقه إلى أوروبا.

وقالت ديريا التي تحدثت إلى وكالة "رويتر" هاتفياً أن الأحداث بدأت قبل ذلك بأربعة أيام عندما استدعت كينيا السفير اليوناني جورج كوستولاس. وأضافت: «طلبت السلطات الكينية عقد اجتماع

مع السفير اليوناني بدءاً من يوم الجمعة، وعندما ذهب يوم الاثنين عرضوا عليه بعض الصور التي قالوا أنها تؤكد أن الرئيس (أوج آلان) في كينيا». واستطردت: «وأبلغوا السفير أنهم سيخرجونه مع الأمن. واقتنع السفير بأنهم يضمنون خروجه». وأضافت ديريا أن كينيا أبلغت السفير اليوناني بأنه إذا لم يغادر أوج آلان السفارة «فإن شيئاً قد يحدث خلال الليل». وقالت إن السفير تلقى تأكيدات بأن أوج آلان سيكون بإمكانه الانتقال في سيارته إلى المطار. لكن عندما وصلت السلطات الكينية في خمس سيارات أصروا على أن يستقل أوج آلان بمفرده سيارة جيب. ورفضوا أيضاً طلب أوج آلان بأن تركب ديريا السيارة معه. وقالت: «قبل أن يصل إلى السيارة تلقى السفير مكالمة من وزير الخارجية اليوناني ثيودوروس بانغالوس أبلغه فيها بأن الرئيس يمكنه أن يسافر إلى أوروبا». وأضافت: «عندما تلقى هذه المكالمة وكأنه حصل على ضمان بأن باباً كان مغلقاً دائماً قد فتح الآن فيما يبدو. لقد أعطونا هذا الانطباع لذلك قال الرئيس لهم: فلنذهب إلى أمستردام».

وقالت: «لقد أراد إضفاء الصفة الدولية على المشكلة والتخلص من انطباع الإرهاب الذي يضفيه العدو علينا». ثم أضافت أنه عندما أصرت السلطات الكينية على أن يستقل أوج آلان إحدى سياراتها طلب السفير اليوناني أن يركب معه، وكان رد الكينيين بالنفي. وقالت: «أبلغوه: سنلتقي في المطار. لن نصطحبك. ستتبعنا».

ومضت تقول: «ذهب الرئيس إلى السيارة الجيب واضطررنا إلى الذهاب في سيارات أخرى إلى المطار. وشاهدنا السيارة الجيب مرة

واحدة لكنها اختفت بعد ذلك. كانت هنالك ثلاث سيارات أخرى أمامنا». وقالت أنهم عندما وصلوا إلى المطار لم تكن هناك ثمة وسيلة للعثور على أوج آلان، ولم يكن هنالك أي تفسير من السلطات الكينية».

وقالت: «عندما استقل السيارة بمفرده كان يبدو قلقاً. أعتقد أنه فهم أن هناك شيئاً ما خطيراً يجري. لكن كان أمامنا أحد خيارين: إما البقاء هناك والتعرض للقتل أو المغادرة. على الأقل كان لنا خيار البقاء على قيد الحياة». وأبلغ بانغالوس الذي عزل من منصب وزير الخارجية في وقت لاحق أسلوب معالجته لمسألة أوج آلان الصحافيين الأسبوع الماضي: «لقد اختار على رغم نصيحتنا أن يذهب مع السلطات الكينية إلى المطار».

ووصلت ديريا التي تتمركز عادة في قبرص كممثلة للجناح السياسي لحزب العمال الكردستاني إلى نيروبي في العاشر من شباط/ فبراير وهي تحمل أوراق لجوء سياسي يونانية و هي إحدى ثلاث نساء أكراد تقطعت بهن السبل في السفارة اليونانية في كينيا. وهناك امرأة أخرى عمرها 39 عاماً وتحمل جواز سفر بلجيكياً وأخرى عمرها 19 عاماً وتحمل وثائق سفر يونانية.

ووجهت ديريا نداء للحصول على مساعدة دولية لتجنب السقوط في أيدي الأتراك.

وقالت: «تركيا طالبت بتسليمنا. ولديها أسماءنا وهم يعلمون بوجودنا ونحتاج لمساعدة. إننا في موقف صعب».

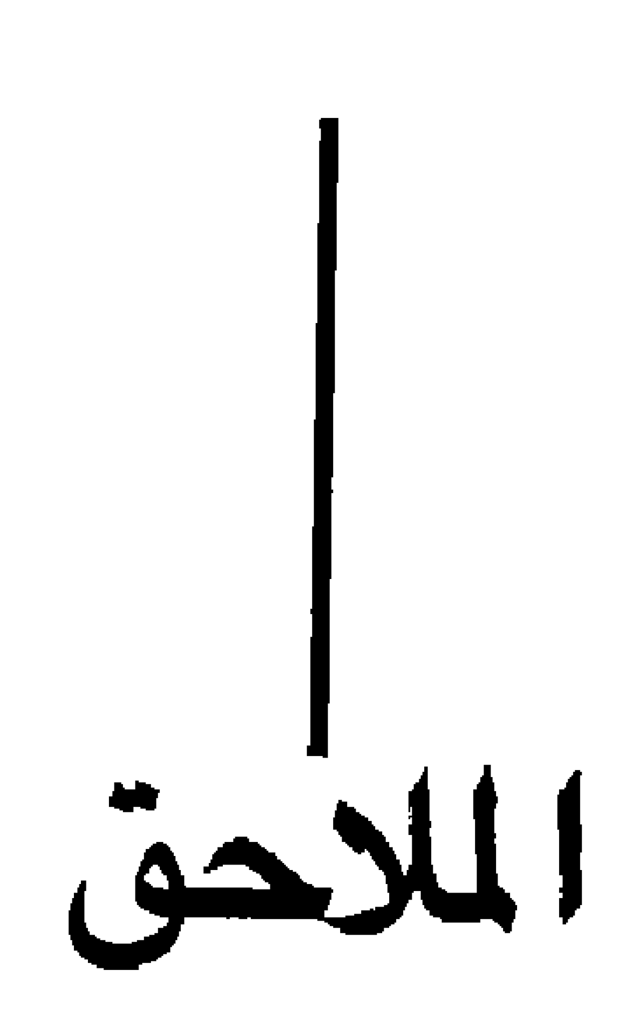
إلى ذلك روى أحد رفاق عبد الله أوجلان، في مقابلة نشرتها مجلة دير شبيغل الألمانية، قصة هروب زعيم العمال الكردستاني حتى وصوله إلى سفارة اليونان في نيروبي وظروف اعتقاله.

وقال هذا الرجل الذي لم تكشف المجلة هويته أن أوج آلان توجه بعد مغادرته إيطاليا في 16 كانون الثاني/ يناير إلى مينسك في بيلاروسيا، وبعدما فشل في الحصول على موافقة من هولندا ليتوجه إليها، ذهب إلى أثنيا. وأضاف أن السلطات اليونانية وضعت تحت تصرفه طائرة خاصة فاخرة لينقل إلى كينيا، موضحاً أن ضابط أمن يوناني كان على متنها. وأضاف أن أوج آلان طلب في اليوم الثالث اللجوء السياسي إلى اليونان لتسوية مشاكله بطريقة قانونية مع أن هذا يعني أنه سيمثل أمام محكمة. وقال أن أربعة ضباط وصلوا بعد ذلك من اليونان، قبل ثلاثة أيام من اعتقال أوج آلان، ليأمروه بمغادرة المقر الديبلوماسي. وقال أن أثنيا طلبت بعد رفضه المغادرة من قوات الأمن دخول المبنى. وأشار إلى أن وزير الخارجية الكيني طلب عندئذ لقاء السفير وبعد لقائهما، في اليوم نفسه الذي اعتقل فيه أوج آلان، قال الدبلوماسي للزعيم الكردي والمقربين منه أنهم إذا قرروا البقاء فإن ذلك يمكن أن يشكل خطراً عليهم.

وقال المصدر نفسه أن أوج آلان قرر أن يتوجه إلى لاهاي ليمثل أمام محكمة دولية. وأكد «أن قوات الأمن الكينية وصلت بعد نصف ساعة لتؤكد أنها ستهاجم المبنى إذا لم يغادره أوج آلان، وقال رفيق أوج آلان أن حوالي 15 رجلاً كانوا يطوقون المبنى. وأضاف أنه بعد أن عبر أوج آلان عن رغبته في الانتقال إلى هولندا، اتصل به وزير الخارجية اليوناني ثيودوروس بانغالوس ليقول له: «سيكون الأمر جيداً إذا جئتم إلى أوروبا وعليكم أن تفعلوا ذلك».

وغادر أوج آلان السفارة مع رفاقه والسفير الذي كان يريد أن يتوجه معه إلى هولندا ورئيس جهاز الاستخبارات الكينية، إلا أن الأخير أجبر أوج آلان على مغادرة سيارة السفير بعد عبور باب المقر الدبلوماسي ليصعد في إحدى خمس سيارات جيب كينية كانت تنتظر في الخارج. ونقل أوج آلان بعد ذلك بمفرده إلى المطار بينما سار رفاقه في اتجاه آخر. وقال هذا الشاهد «عرفنا عندئذ أن كل شيء انتهى».

وقال هذا الرجل أن السفير صرح والدموع في عينيه «إن حكومتي استغلتني»، وأضاف أن وزير الخارجية اليوناني اتصل به هاتفياً ليطلب منه «العودة إلى المنزل وعدم الاكتراث بالناس الذين كانوا معه».



الملاحق

الملحق الأول*: أول حوار مع عبد الله أوج آلان بعد انتقاله إلى إيطاليا

ـ كيف تنظرون إلى الأزمة التركية ـ السورية التي حدثت مؤخراً باعتباركم كنتم سبباً أساسياً في نشوبها؟

$ الهدف الأساسي للأزمة التي اختلقتها تركيا مع سوريا كان موضوع تصفيتي وإنهائي، ولعل الاقتناع بذلك يستدعي البحث أكثر في هذا الموضوع، وسنفهم أهميته أكثر بعد مرور فترة أخرى من الزمن. من المؤكد أن أية خطوة أو موقف في غير محله كان سيؤدي إلى نشوب حرب في المنطقة. وما أن أصبح عائقاً أمام تطور الأحداث في هذا الاتجاه، كان نمط تحركي باتجاه أوروبا وكان المخطط التركي يتضمن احتمالين لا ثالث لهما. وهما الحرب أو تسليمي للحكومة التركية. ولأن مسألة تسليمي كانت أمراً غير ممكن، فإن الحرب كانت أمراً لا مفر منه.

طبعاً لا يمكن تناول الأزمة التركية ـ السورية دون الإشارة إلى الدور الإسرائيلي والأميركي فيها. فقد لعبت الاتفاقية التي وقعتها

تركيا مع إسرائيل في العام 1996 دوراً كبيراً في ذلك، وكان واضحاً دور المخابرات (سي. آي. ايه) و"الموساد" الإسرائيلي في ذلك. لقد أرادوا إكمال حلقة المخطط باتفاقية واشنطن التي وقّعوها مع "القيادة التركية" في كردستان الجنوبية.

طبعاً السياسة السورية الموضوعية والمرنة تجاه الأزمة شكلت إلى جانب تحركاتي باتجاه أوروبا، عائقاً آخر أمام تطور الأحداث الذي أرادته تركيا وحلفائها.

- ما هو السبب الأساسي وراء توجهكم إلى إيطاليا. ولماذا اخترتم إيطاليا تحديداً؟

$ سبب مجيئي إلى هنا هو لشرح وإظهار الإرهاب الذي يُمارس بحق قيم وثقافة وتاريخ شعوب بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) والأناضول. هذه البلاد التي انطلقت منها الحضارة الإنسانية. هدفي في المجيء إلى هنا هو إظهار الوجه الحقيقي لنظام يستخدم الدسائس والديماغوجية والإرهاب تحت قناع الديمقراطية. أنا أحاول أن أظهر وأبين مسؤولية أوروبا تجاه ذلك، وتفعيل دورها بشكل إيجابي. يجب أن لا ننسَ بأن البربرية التركية هي التي قامت بعمليات إبادة جماعية لكل شعوب المنطقة من الأرمن والآشوريين واليونانيين (المسيحيين الأوائل)، وغيرهم من الشعوب، وحاولت ولا تزال القضاء على ثقافاتهم. مجيئي إلى إيطاليا ليس ناتجاً عن عدم وجود مكان آخر لي. هذا ما أريد أن أؤكده.

ـ اتخذتم في بداية أيلول الماضي قراراً بوقف إطلاق النار من جانب واحد، فهل هذا القرار ما زال سارياً؟.

$ وقف إطلاق النار الذي أعلناه في أيلول الماضي ما زال مستمراً، رغم أن الطرف التركي يصرح دون خجل منه بأنه "لا توجد لديه مشكلة كردية" ويريد أن يطبق هذه المقولة عملياً عن طريق عمليات إبادة شاملة لشعبنا. ليس في ذلك أي وجه للحق والعدالة. لذلك أطالب دول العالم في أن تدعو إلى عقد مؤتمر دولي لإيجاد حل سلمي لقضية شعبنا، كما أدعو الأمم المتحدة إلى اتخاذ قرارات تتعلق بحقوق الإنسان الكردي وفرضها على تركيا. وإذا تحقق ذلك فلن يبق هناك مبرر للكفاح المسلح الذي نقوم به الآن. فنحن لن نقوم بإطلاق طلقة واحدة في حال أوقف الجيش التركي عملياته العسكرية ضد شعبنا.

أما إذا أصر الجانب التركي على الاستمرار في سياسة الإبادة، ورفض الحلول السلمية للمسألة الكردية وإفراغ كردستان من سكانها، فإن الكفاح المسلح سيبقى خارج إرادتنا، لأنه إرادة شعب يقاوم من أجل وجوده. أسألكم: هل يمكن لنا، في هذه الحالة سوى الدفاع عن أنفسنا في وجه قوة تحاول القضاء علينا في هذا الشتاء، وسنحاول بكل إمكانياتنا إفشالها.

ـ ما هو تقييمكم لهجرة الأكراد إلى أوروبا، وكيف يمكن حل هذه المشكلة برأيكم؟

$ لا شك أن الحرب الخاصة التي تقوم بها تركيا ضد الشعب الكردي وتهدف إلى تفريغ كردستان من سكانها، هي السبب الرئيسي لهجرة الأكراد إلى أوروبا، هذا بالإضافة إلى بعض الأطراف الذين يحاولون استغلال الوضع وتسهيل الهجرة للاستفادة منها اقتصادياً.

إن القيام بعمل مشترك مع الأوروبيين، في هذا الخصوص، يمكن أن يسد الطريق أمام هذه "الأخطاء"، ويحول دون حصولها. المسؤولية لا تقع على عاتق الشعب، وإنما على عاتق الدول. أرى أن وضع برنامج اجتماعي وتطويره من شأنه أن يلغي أسباب الهجرة العامة بما فيها الاقتصادية والأسرية، ويحول دون استغلالها بالشكل الذي يتم حالياً.

---

* عن الصحافة التركية، ترجمة: سالار أوسي.

الملحق الثاني*: نص الرسالة التي وجهها الزعيم الكردي عبد الله أوج آلان إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني:

«إن تاريخ وشخصية الشعب الإيطالي الثقافية، وقدسية مدينة روما، وكونها بوابة أوروبا، كانت وراء توجهي إليها من عالم الظلم الكبير، وعلى طريقة سان بيترو. أريد أن أؤكد على علاقتي وارتباطي القويين مع مدينة حلب أيضاً، وقد أبلغت تحياتي لقداستكم من هناك، عندما كنت في الشرق الأوسط. كلي إيمان بالمساواة والسلام والإنسانية هي أسس وأهداف المسيحية. إن العقيدة الاشتراكية التي أحملها لا تبعدني عن ذلك، بل تقربني منها، بل وتفرض على عقيدتي ونضالي واجب احترام وتقدير شخصكم ودينكم. إن الواجب الإنساني يجعلني أعرض لكم بعض الأمور التي أراها هامة. كان أول المبشرين للدين المسيحي يعود جذوره إلى الشرق الأوسط. وبين أول الكنائس المقدسة هناك وأولى شعوب المسيحية.في تلك المرحلة كان الآشوريون والأرمن.. وعلى شكل جزئي ولدت فيها، وفي القرية التي درست فيها

المرحلة الابتدائية. لقد حولوا (الأتـراك) إحداهـا إلى جـامع، وأصـابني حـزن عميـق كطفـل آنـذاك بسـبب تغـيير معـالم هـذه الحضـارة. كـانت تربطنا مع الآشوريين والأرمن علاقات صداقة وجيرة حميمتين. أريد أن أؤكـد: أنـا لسـت ملحـداً، أحـترم جميـع الأديـان، والعقـائد ولا سـيما المراحل النقية التي مرت فيها. وأرى في أعمالي أنها استمرارية للأفكار الإنسانية الكبيرة. ولا أتردد في قول ذلك في كل وقت وأينما كان.

الجميع يقول أننا نعمل على نمط حياة الأنبياء، وشعوبنا تشهد على ذلك. لكن، كما تعرفون، فإن البربرية التركية في التاريخ حطمت الامبراطوريـة الرومانيـة الشـرقية والغربيـة، وحرضـت العـداء ضـد المسيحية في الأنـاضول والشرق الأوسط، وحتى في منطقة البلقـان، ولا تـزال آثـار ذلـك موجـودة ومسـتمرة في أوروبـا. وقـاموا بمحـاولـة اغتيـال حاقدة ضد قداستكم. ولم يقم بذلك شخص واحد أمره نور الدين أرسين قـائد القـوات البريـة وهـو مـن جـنرالات 12 أيلـول/سـبتمبر. لقـد كـان هدفهم تهديد العالم المسيحي.

أخفى محمد علي أقجا الحقيقة ولم ينطق بها، وهو من مدينة "ملاطيا" المعروفة بعدائها الشديد للمسيحية إلى جـانب مدينـة "بنـال غازي" التي انطلقت منها حروب قرصنة كبيرة ضد المسيحيين.

أريد أن أقول: إنَّ نظاماً جُنَّ حقداً ضد شخصكم ومقامكم إلى هذه الدرجة، ماذا يمكن أن يفعل ضدنا كأكراد وأرمن وسريان ويونانيين..؟ لقد قام بشن حملات إبادة جماعية ضد هذه الشعوب الذين هم الأصحاب الأصليون لمنطقة ميزوبوتاميا والأناضول. وأنتم تعرفون أوضاع الأكراد الذين هُجروا ووصلوا إلى سواحل إيطاليا في بشكل يدعو إلى الدهشة. لقد حاولت أن أكون ضد هذا الظلم وهذه الوحشية، وأقاوم ذلك، منذ زمن، وحيداً. تعلمون أنه حتى الجنرالات الرومان لم يكونوا وحشيين إلى هذه الدرجة.

لم أهزم ولم أستسلم لهم. كنت أعمل في أن أقضي على ظلمهم في الشرق الأوسط. ولكن هؤلاء الجنرالات يستمدون قوتهم من الغرب، ومن قوة الحضارة المسيحية، ولا يجب لذلك أن يستمر. لا يجب أن يقوم الغرب بدعم نظام الجنرالات وجمهوريتهم التركية في سعيها إلى محو ثقافات ومقدسات شعوب المنطقة. إذن هذا يعذب روح جميع الأولياء والقديسين. وأنا جئت طارقاً أبواب أوروبا من أجل وقف ذلك. أرى أنه يجب أن يجتمع هذا النضال الكبير بعد الآن، وتفتح أمامه الأبواب، من أجل إنهاء الظلم ومآسي الشعوب، ومنع فصلهم عن ثقافاتهم.

أشعر بأنني قمت بما يتوجب عليّ، ومقتنع في صميمي بأننا سنتمكن من تحقيق وظائف التاريخ ضد الظلم، بعدالة وسلام وأخوة وضمن مفاهيم أكثر قرباً من قداستكم.

أعبر عن سعادتي وفرحتي لوصولي إليكم على هذا الأساس. وأرسل إليكم، مع رسالتي هذه، رسالة عشرة آلاف معتقل في السجون. وأنا كلي أمل في لقاء قداستكم، باسم القيم المقدسة، أقدم احترامي وتحياتي وسلامي إلى قداستكم».

---

* عن الصحيفة التركية (اوزغور بوليتيكا)، ترجمة: سالار أوسي.

الملحق الثالث*: الولايات المتحدة وعبد الله أوج آلان.

هدف هذه المقالة، فضلاً عن التحليل، النظر في المرآة، وإذ تذكر بالآراء التي قيلت أو كُتبت في واشنطن في الفترة الأخيرة حول موضوع أوج آلان وحزب العمال الكردستاني PKK والمسألة الكردية فإنها تبحث عن أجوبة لسؤال: ماذا تقول الولايات المتحدة في هذه الأمور؟.

لنبدأ أولاً بـ "آبو". كان رد فعل إدارة كلينتون "الرسمية" على اعتقال زعيم حزب العمال الكردستاني في روما يوم الجمعة 13 تشرين الثاني هو الآتي: «إننا نقابل بسرور اعتقال أوج آلان. إن الولايات المتحدة تعتبر الحزب منظمة خارجية إرهابية. وتعتقد بضرورة إعادة أوج آلان وتقديمه للعدالة».

في رد الفعل هذا سمعت من مسؤولين أمريكيين، أنه لم تجر الإشارة، في مطلب "الإعادة" الذي يشكل العنصر الأكثر أهمية، إلى "إعادته إلى تركيا"، بل أكثر من ذلك سمعت أنه أرسلت رسالة ضد منحه حق اللجوء السياسي.

هذا تعليق يأخذ من دون شك، في الاعتبار موقف إيطاليا المعارض لعقوبة الإعدام.

أما بالنسبة إلى اعتبار الولايات المتحدة حزب العمال الكردستاني منظمة خارجية إرهابية، فهذا التعريف القائم منذ سنوات، اكتسب أهمية جديدة مع إعلان وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت في تشرين الأول 1997، في قائمة "المنظمات الخارجية الإرهابية" التي تشمل ثلاثين منظمة، ويحظر على المؤسسات الأميركية والمواطنين الأميركيين تقديم الدعم المالي أو أي نوع من أنواع الدعم المادي إلى المنظمات المدرجة في القائمة. ويشكل "قانون مكافحة الإرهاب وعقوبة الموت الفعلي"، الصادر عام 1996، الأساس الحقوقي لهذا الحظر.

وبالنسبة إلى تقديم أميركي "غير رسمي" لمسألة أهمية أوج آلان لحزب العمال الكردستاني، أنقل هذا المقطع من كتاب "المسألة الكردية في تركيا" الذي نشر هذه السنة: «إن إشراف أوج آلان على المنظمة يواصل تشكيل سؤال مهم. إن خرق إطلاق النار عام 1993، كان نتيجة عدم الطاعة. وعلى رغم كل العقبات الطبيعية التي تنشأ من القيادة من عاصمة أجنبية، واحتمال ظهور حالات تمرد وعدم انضباط مشابهة، إلا أن أوج آلان حافظ على الانضباط والمظهر الوحدوي داخل الحزب. وفي هذا النجاح، حصة للشعور الأعمى لدى المناصرين بالولاء للرجل. وقد استغل موقفه الصارم، من أجل خلق صورة كاريزمية لنفسه. وما من شك في أنه إذا انسحب أوج آلان من الساحة، فإن

حزب العمال الكردستاني سيشهد مرحلة من النزاع الداخلي إلى أن يجد زعيماً جديداً، أو إلى أن يصير في حال حركة جديدة تستخدم العنف في صورة أكثر أو أقل». (غراهام فوكر وهنري باركي).

لننتقل إلى نظرة الولايات المتحدة إلى المسألة الكردية. العنصر المفتاح هنا هو إيمان إدارة كلينتون بأن "المسألة الكردية لم تبدأ مع حزب العمال الكردستاني ولن تنتهي معه".

نورد هنا التصريح الذي صدر عن نائب وزير الخارجية الأمريكي ستروب تالبوت في 14 تشرين الأول 1998، والذي أثار انفعال أنقرة وكان بعنوان: "كلمة تذكارية في تورغوت أوزال": «إن الولايات المتحدة تدعم حق تركيا في الدفاع عن نفسها ضد الإرهابيين، وهذا الحق استخدمناه نحن بأنفسنا في الأشهر الأخيرة. لكن، مع ذلك، نعتقد، كما كثير من الأتراك، بأن المشكلات التي تتواصل في جنوب شرق تركيا، لا يمكن حلها بالأسلوب العسكري فقط. إن الحل البناء للمسألة الكردية في تركيا مرتبط بالطلب من الحكومة التركية أن تأخذ بحقوق الإنسان للشعب التركي كله في مناخ من الثقة. إن "الصلح في الوطن" الذي كان العنصر الأول في رؤية الجمهورية التركية للعلاقة بالدولة، كان يمكن تحقيقه فقط في ذلك الحين».

لنقرأ أيضاً نظرة "غير رسمية" من كتاب "الدول المحورية" الصادر حديثاً جداً في الولايات المتحدة ويحمل تاريخ 1999:

«هناك اعتقاد بأنه ما لم يلغ قانون اللغة الذي يمنع استخدام اللغة الكردية، وما لم تحل المسألة الكردية، فإن سبب عدم قبول أوروبا تركيا سيبقى قائماً. كانت نظرة اوزال صحيحة وما زالت. إن الأسوأ لتركيا هو تمزق الصلات مع أوروبا الغربية والولايات المتحدة بسبب المسألة الكردية، وتلك اللطخة التي تكبر في صورة تركيا بشأن حقوق الإنسان هي غير مشرفة في الأساس.

إن إهمال تركيا للمسألة الكردية، هو أمر أكثر من أي أمر آخر، يمكن أن يوسع الهوة التي تتزايدَ بين أنقرة والغرب، ويمكن أن تكون سبباً لارتخاء الروابط بينهما. إن تأسيس دولة كردية مستقلة على الأراضي التركية اليوم، هو بنسبة كبيرة، بعيد الاحتمال. بينما من الممكن إيجاد حل سياسي يضمن إمكان التعبير الثقافي واللغوي والسياسي للأكراد على أعلى المستويات. لكن ذلك يتطلب فلسفة جديدة للنظام تقبل مبدأ الأكثرية، أو، وهذا أقل احتمالاً، ثنائية القومية. وهذه عملية تتطلب ليس عشر سنوات، بل سنوات وسنوات» (آلان ماكوفسكي).

إن مصالح الولايات المتحدة التي تدعم حتى اليوم المعركة مع حزب العمال الكردستاني، تتطلب تركيا، ذات "قوة مستقرة ومتكاملة مع الغرب". وتبعاً لواشنطن، فإن إحدى العقبات أمام هذا الطريق هي المسألة الكردية، فيما طريق الخروج يكمن في ديمقراطية أكثر.

---

* عن صحيفة (ميلييت) التركية، تاريخ 16 تشرين الثاني/أوكتوبر 1998، ترجمة: محمد نور الدين، نقلاً عن صحيفة النهار.

الملحق الرابع : بيان (صادر عن المؤتمر السادس لحزب العمال الكردستاني الذي انعقد بعد اختطاف أوج آلان)*

إلى الرأي العام العالمي والشعب الكردستاني المكافح

المؤتمر السادس هو انتصار في مواجهة المؤامرة الدولية التي تستهدف قيادتنا وحزبنا وشعبنا

انعقد مؤتمرنا السادس في مرحلة حساسة تكالبت فيها الإمبريالية والصهيونية والاستعمار التركي لتنفيذ المؤامرة الدنيئة التي استهدفت قيادتنا خطوة خطوة، إلى أن وصلت إلى عملية القرصنة الدولية. وتصدى شعبنا بكل ما يملك لمقاومة هذه الهجمة الوحشية. وفي هذه الأجواء انعقد مؤتمرنا الذي ضم أكثر من ثلاثمائة عضو لمناقشة كل قضايا النضال بشكل شمولي والبحث الجاد عن الحلول التفصيلية ليضعها موضع التنفيذ، وهكذا استطاع تحقيق إنجاز تاريخي وهام في حياة شعبنا. إن الأجواء التي انعقد فيها المؤتمر كانت عصيبة جداً نظراً للمؤامرة الدنيئة التي استهدفت شعبنا وحزبنا وقيادتنا ووصولها إلى أبعد من وحشية، إلى جانب أنها كانت مرحلة مفعمة بالوعي

وتصاعد روح المقاومة والتحدي والانتقام لدى جماهيرنا. إن الإمبريالية الأمريكية والصهيونية المتمثلة بإسرائيل والفاشية التركية تكالبت مع قوى الرجعية العالمية واستخدمت الخيانة الكردية أيضاً لتبدأ بمؤامرتها التي بدأت في 9 تشرين الأول/أوكتوبر 1998، غير آبهة بأية قاعدة حقوقية أو أخلاقية ودون الالتزام بأي مقياس إنساني، ورغم صمود قيادتنا وبصيرتها النافذة وصلت هذه المؤامرة إلى أبعاد جديدة بعملية القرصنة الدولية التي حدثت في 15 شباط/فبراير 1999، بتسليم رمز نضالنا الوطني والقومي القائد APO . إن مرونة نهج قيادتنا في النضال وبحثها عن الحلول السياسية للقضية الكردية وجهودها الحثيثة المبذولة لهذا الهدف، قد اصطدمت بهذه المؤامرة الدنيئة، مما يدل على أننا نمر بحقبة تاريخية عصيبة وعميقة. لنتعرف على حقيقة الأعداء والأصدقاء تجاه الحقوق المشروعة للشعب الكردي. كذلك التعرف على المكائد الأمريكية والرياء الأوروبي بكل وضوح، فجبهة الأعداء الدولية أرادت القضاء على قيادتنا وإزالتها لتحقيق النتائج التي تريدها، وهي تعتقد أنها حققت انتصاراً كبيراً، في حين أن هذه المؤامرة الوحشية وعلى العكس من ذلك دفعت بحزبنا وشعبنا إلى أن يكون قوة فدائية بكاملها..

إن المؤتمر السادس للحزب الذي عايش هذه المؤامرة بكل حرارتها وسخونتها والتي استهدفت وجود ومستقبل شعبنا وحزبنا بأكمله من

خلال شخص قائدنا الوطني APO، قيم هذه المؤامرة بكل أبعادها التي مثلت الإرهاب الدولي بكل وضوح، متجاهلة كل القواعد والقوانين الإنسانية والأخلاقية، وصمم المؤتمر على الصمود والمقاومة جماهيرياً وعسكرياً وسياسياً وتنظيمياً، ليبدأ بذلك حملة مظفرة كبيرة، وسنقوم بحشد كل قواتنا الثورية لخوض كافة أشكال النضال والاستمرار بحملتنا هذه بعمليات الكريلا والانتفاضات الشعبية لتوحيد هذه الممارسة في أعلى المستويات لدحر أعدائنا ولنبعث الأمل والسرور لدى أصدقائنا حتى تحقيق الأهداف التي نعمل لأجلها، مما سيفشل نزعات الانتصارات المزيفة التي تطلقها الدولة التركية عدوة الشعوب، ودعاياتها التي تعتمد على الكذب وتشويه الوقائع وتفريغها من محتواها. فآمال النصر المزيفة التي نتجت من بيع تركيا إلى إسرائيل وأمريكا بثمن بخس لقاء قرصنتها، ستذهب سدى في مواجهة سيل الغضب والعنفوان لدى شعبنا.

إن أمريكا وإسرائيل اللتان خططتا ونفذتا هذه المؤامرة الدنيئة كسبتا عداء شعبنا، وستدفعان ثمن ذلك من خلال حملتنا الثورية المتصاعدة. وكذلك فإن كل القوى التي تورطت في هذه المؤامرة اللاإنسانية وأصبحت آلة لها ستتضرر بما تستحق إن لم تسع إلى تلافي ما اقترفت أيديها.

إن الرفيق عبد الله أوج آلان أثناء تعرضه لهذه المؤامرة الدنيئة، التي قامت بها جبهة ثورة الجبهة المضادة الدولية في انتهاك صارخ حتى للقوانين التي وضعتها لنفسها، كان يقاوم المؤامرة بصبر وتصميم كبيرين ومهارة كبيرة، ونجح في إفشالها عدة مرات، ومن الجانب الآخر كان يقدم لنا تقيماته الشاملة وتحليلاته العميقة ليقوم بتوجيه أعمال وأنشطة المؤتمر السادس بذاته، حتى أوصل المؤتمر إلى النجاح التام. فمن خلال التقرير السياسي والتنظيمي الذي قدمته قيادتنا استطاع مؤتمرنا الحزبي السادس أن يقيم المرحلة النضالية السابقة بأدق تفاصيلها، فتلك المرحلة التي كانت مرحلة مقاومة متواصلة في تاريخنا، ورغم الحرب الكبيرة التي تم خوضها إلا أنه لم يتم الوصول إلى طراز ووتيرة وأسلوب القيادة كما يجب، ولم تتحقق المركزية الديمقراطية والتحول الحزبي بالنجاح المطلوب، ولم يتم تبني المواقف التكتيكية التي تتناسب مع كل مرحلة وظروفها المشخصة.

ومؤتمرنا السادس الذي تعرف على هذه النواقص والأخطاء ومواضعها عرف أيضاً أن ذلك كان السبب في ضعف النجاحات الثورية التي تصدى لها الحزب في تلك المرحلة، وهذا هو الوضع الذي شجع العدو على حياكة المؤامرات التي استهدفت قيادتنا وحزبنا وإعطائها الفرصة والإمكانيات اللازمة لتنفيذها. ولهذه الأسباب مجتمعة، قام مؤتمرنا بنبذ ورفض كل النواقص والمواقف الخاطئة.

وانطلاقاً من مبدأ "الحزب الثوري وكوادره يتعلمون من أخطائهم" جرى استخدام مبدأ النقد والنقد الذاتي بشكل شامل حيث استخلصت الدروس والعبر من كل أشكال الأخطاء لأجل الوصول إلى المواقف القيادية الصحيحة لتتبناها الكوادر. واتخذت التحليلات العميقة التي أجرتها القيادة لجعلها ضمانة للنهج المظفر الناجح خلال انعقاد المؤتمر السادس، وتم التوصل إلى ضرورة "تجديد حزبنا وإعادة بنائه وإثارة قضايانا الحزبية وتقييم الممارسات الخاطئة التي تصب في خدمة الاستعمار والكومبرادورية القبلية والمواقف التي تشكل أرضية مناسبة لهذه الممارسات وكافة الميول الطبقية الوصولية، والانتهازية. كما قام المؤتمر بتقييم شامل لكل المواقف التصفوية والمتصلبة والفردية والعشوائية التي تضعف التحول الحزبي.

---

* من وثائق حزب العمال الكردستاني.



المراجع

1 ـ كردستان ـ تركيا: دراسة اقتصادية اجتماعية سياسية في تحت التخلف الإستعماري.تأليف: د.مجيد جعفر. بيروت ـ إصدار خاص، ودون سنة نشر.

2 ـ عبد الله أوج آلان ـ مختارات في جزأين. منشورات حزب العمال الكردستاني، 1985 ـ 1991.

3 ـ مسألة الشخصية في كردستان ـ خصائص المناضل الثوري وحياة الحزب.

4 ـ ملحمة الانبعاث ـ حوار أجراه الإستاذ يالجين كوجوك مع القائد عبد الله أوج آلان. منشورات حزب العمال الكردستاني ـ ط1، 1994.

5 ـ قائد وشعب ـ سبعة أيام مع آبو. حوار أجراه نبيل ملحم مع عبدالله أوج آلان. دار أخيل للنشر أثينا. ط1 1996.

6 ـ كيف نعيش .. ؟ حقيقة العلاقات في كردستان. تأليف عبد الله أوج آلان. منشورات حزب العمال الكردستاني. دون سنة نشر.

7 ـ أحاديث القائد عبد الله أوج آلان ـ حوارات صحفية. منشورات مكتب الإعلام في حزب العمال الكردستاني. دون سنة نشر.

8 - المسألة الكردية (1917 - 1923). م.س. لازاريف. ترجمة د. عبدي حاجي. دار الرازي - بيروت، ط1. 1991.

9 - الحركة الكردية في العصر الحديث. جليلي جلال ولازاريف. ترجمة د. عبدي حاجي. دار الرازي - بيروت، ط1. 1992.

10 - المسألة الكردية (1917 - 1923). م.س. لازاريف. ترجمة: د. عبدي حاجي. دار الرازي، بيروت.ط.1، 1991.

11 - تركيا (بوابة استراتيجية للإمبريالية العالمية). نديم البتكين. الحقيقة برس. دون اسم دار نشر. ط.1، 1987.

12 - أرشيف صحيفة نداء الوطن - بيروت (1998 - 1999).

13 - أرشيف صحيفة الحياة - لندن (1998 - 1999).

14 - أرشيف صحيفة السفير. بيروت (1998 - 1999).

15 - أرشيف صحيفة النهار. بيروت (1998 - 1999).

16 - صحيفة القدس العربي - لندن (1998 - 1999).

17 - صحيفة الشرق الأوسط - جدة (1998 - 1999).

18 - أرشيف صحيفة الكفاح العربي - بيروت (1998 - 1999).

19 - أرشيف صحيفة البيان - دُبي (1998 - 1999).

20 - أرشيف صحيفة الاتحاد - ابو ظبي (1998- 1999).

21 - أرشيف صحيفة الخليج - ابو ظبي (1998 - 1999).

22 - أرشيف صحيفة الأهرام - القاهرة (1998 - 1999).

23 - أرشيف صحيفة الأخبار. القاهرة (1998 - 1999).

24 - أرشيف صحيفة المحرر. نيويورك (1998 - 1999).

25 - أرشيف صحيفة السياسة . الكويت (1998 - 1999).

26 - أرشيف صحيفة نضال الشعب . دمشق (1998 - 1999).

27 - أرشيف صحيفة تشرين . دمشق (1998 - 1999).

28 - أرشيف صحيفة البعث . دمشق (1998 - 1999).

29 - أرشيف صحيفة الثورة . دمشق (1998 - 1999).

30 - أرشيف مجلة الوسط . لندن (1997 - 1999).

31 - أرشيف مجلة المجلة . لندن (1997 - 1999).

32 - أرشيف مجلة الشراع . بيروت (1997 - 1998).

33 - أرشيف مجلة السياسة الدولية . القاهرة (1998 - 1999).

34 - أرشيف مجلة المشاهد . لندن (1998 - 1999).

35 - أرشيف مجلة الشاهد . نيقوسيا (1998 - 1999).

36 - أرشيف مجلة الصياد . بيروت (1998 - 1999).

37 - أرشيف مجلة الأفكار. بيروت (1998 - 1999).

38 - أرشيف مجلة الأهرام العربي . القاهرة (1998 - 1999).

39 - أرشيف مجلة الحوادث . بيروت (1998 - 1999).

40 - أرشيف مجلة سوراقيا . لندن (1998 - 1999).

41 - أرشيف مجلة المصور. القاهرة (1998 - 1999).

42 ـ أرشيف مجلة البناء ـ بيروت (1998).

43 ـ أرشيف مجلة دنيا العرب ـ أثينا (1998).

44 ـ أرشيف مجلة الأوج ـ أثينا (1998 ـ 1999).

45 ـ أرشيف مجلة سومر ـ دمشق (1998 ـ 1999).

المحتويات

من إصدارات الدار

موليير/ مسرح	ترجمة: يوسف الجهماني
الشعر النبطي في حوران	علي المصري
كاليجولا/ مسرحية	ترجمة: يوسف الجهماني
نرسيس وغولدموند/ رواية	هرمان هسه
روسهالده/ رواية	هرمان هسه
ذئب السهوب/ رواية	هرمان هسه
غرترود/ رواية	هرمان هسه
تحت الدولاب/ رواية	هرمان هسه
بيتر كامينتزيند/ رواية	هرمان هسه
تعاويذ/ رواية	عقبة زيدان
الخيبة/ رواية	بولينا داشكوفا
أيام الثلج الأحمر/ رواية	د. فواز الأزكي
الحب الكبير/ رواية	عيسى الصيداوي
ثغر حلم/ قصص	يوسف الجهماني
عشتار والمولودة/ قصص	فاديا سعد
كيف الحال/ شعر	ربيعة الجلطي
عطر اللوز/ شعر	يوسف الصياصنة
بكاء النوافير/ شعر	منصور الزعبي
أزهار الغضب/ خواطر	منصور الزعبي

موسوعة الحرب الالكترونية	أ.أ. بالي
على دروب الثقافة الديمقراطية	بوعلي ياسين
قراصنة وأباطرة	نوعام تشومسكي
المعري والشيرازي	علي خلوف
حوران عبر التاريخ	د. خليل المقداد
حرية الآخر	جاد الكريم الجباعي
القرآن بين التفسير والتأويل	أنور خلوف
ما وراء الحجاب	فاطمة المرنيسي
مفهوم الإرهاب في القانون الدولي	المحامي: ثامر الجهماني
خلفاء بلا خلافة	أ. أ. إغناتنكو
حزب الرفاه . أرباكان	يوسف ابراهيم الجهماني
حوارات في قضايا	
المرأة، الحرية، التراث	نبيل فياض
الصراع السياسي في تركيا	ف. ي. دانيلوف
خبايا الانهيار	ف. إ. شيرونين
أخلاقيات السعادة	كيريل نيشيف
أخلاقيات المعاشرة	غ.ب. بوتيليكو
اللؤلؤة / رواية	جون شتاينبك
حوار العمر / الياس مرقص	جاد الكريم الجباعي
الدليلة الفلكية	تحقيق: يوسف فطوم
وترحل الجراح / شعر	منصور الزعبي
رسائل الرقص / شعر	مالك الناطور

صدر من ملفات تركية

1. تركيا وإسرئيل	يوسف ابراهيم الجهماني
2. تركيا وسوريا	يوسف ابراهيم الجهماني وسالار أوسي
3. ثرثرة فوق المياه	يوسف ابراهيم الجهماني

هذه الملفات

تهتم هذه الملفات بشؤون تركيا والأتراك وقضاياهم الداخلية، كما تبحث في شؤون السياسات والعلاقات التركية الخارجية مع الآخر، بدءاً من الجوار العربي وانتهاءً بأمريكا وبلدان الاتحاد الأوروبي وآسيا. ويرى الناشر أن كل كتاب من هذه السلسلة، هو مُعين، لا بد منه للمثقف العربي، ويصلح بأن يُصبح مرجعاً للسياسيين والأكاديميين، سيما المهتمين منهم بالشأن التركي.

هذا الملف

في هذا الملف، نحاول أن نميط اللثام عن القضية الكردية، وذلك من خلال أكراد تركيا حتى أفول السلطنة العثمانية، ومن ثم سنعرج إلى دراسة أوضاع الأكراد في تركيا المعاصرة، وبعدها سننتقل إلى بحث، يدور حول حزب العمال الكردستاني وزعيمه، عبد الله أوج آلان (فكره وممارساته السياسية). وبعدها سنختتم الملف بالحديث عن الأزمة الأخيرة لأوج آلان واختطافه من قبل السلطات التركية.



دار حوران للطباعة و النشر و التوزيع

سوريا - دمشق ص.ب 32105

6713079